الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة د. مولاي الطاهر- سعيدة –
كلية الآداب واللغات والفنون
قسم أدب العربي
التخصص: نقد ومناهج

مذكرة التخرّج لنيل شهادة ليسـانس (ل.م.د)
بعنـوان:

مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي
نموذج شعر الطبيعة عند ابن خفاجة

من إعداد الطالبتين :

- يوسف عامرة
- عبدون خيرة

تحت إشراف الأستاذة :

- بشارف

السنة الجامعية: 2017م/ 2018م

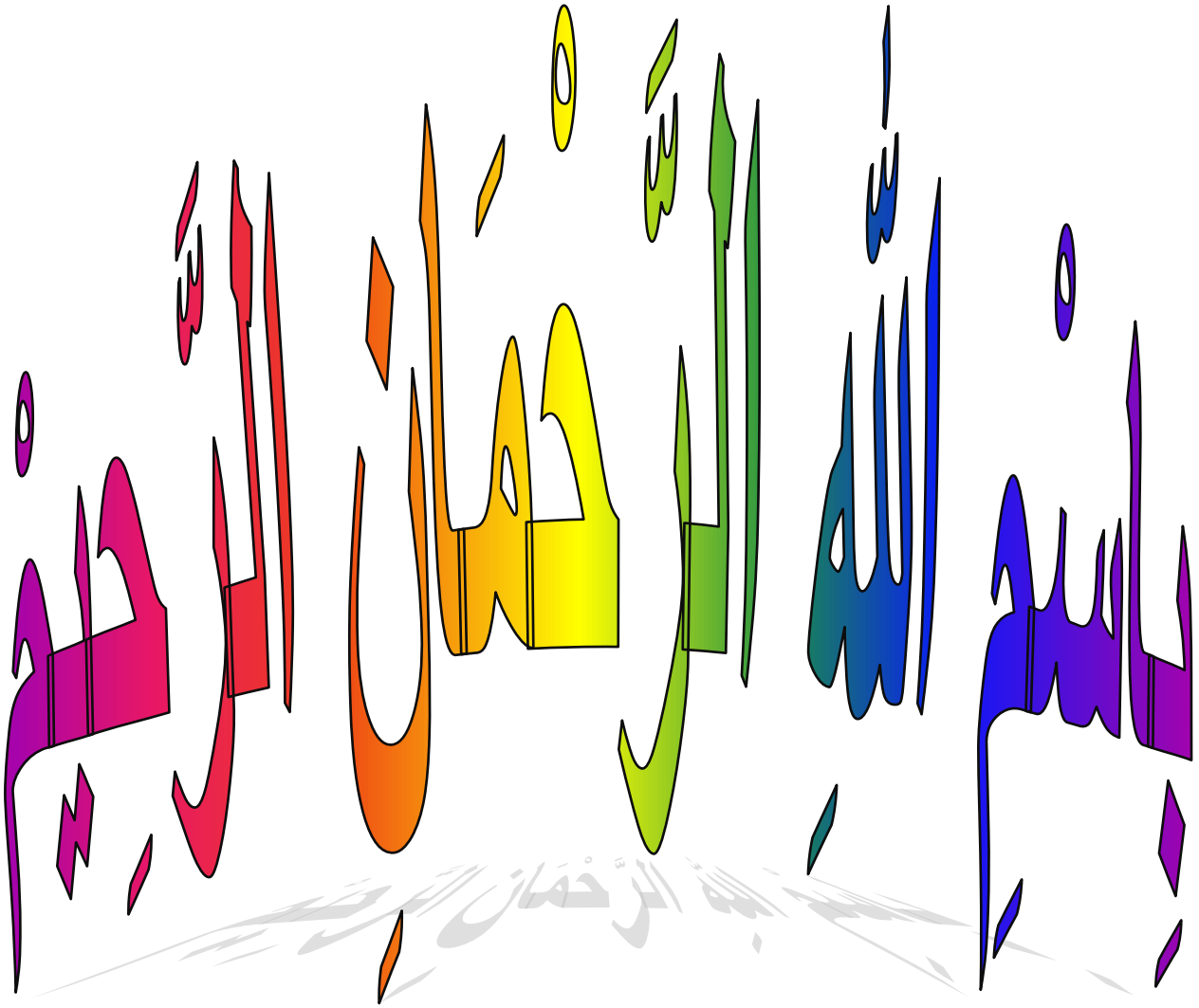
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الشـــــــكر

قال الله تعالى : " وَقُلْ إِعْمَلُوْا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُوْلِهِ وَالْمُؤْمِنِيْنَ ".

الحمد لله الذي أنزلنا درب العلم والمعرفة، وأعظم الشكر الذي سجدت له الكائنات، تحمده سبحانه على حسن التوفيق والتمكين، وصلاة والسلام على أشرف المرسلين والصحابة الأجمعين وعلى من أتبع الهدى إلى يوم الدين.

إن واجب الإخلاص والوفاء يدعون أن نتقدم بالشكر الجزيل والتقدير إلى كل من ساعدنا في هذا العمل ونخص بالذكر:

إلى من نصحنا وعلمنا أحرف المثابرة والنشاط في دراستنا أستاذتنا المشرفة " بشارف "، التي غرست في أعماقنا الإرادة والصبر والتي ساندتنا طيلة إشرافها كما أنها لم تبخل علينا بالتشجيع والتقويم والتقديم.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل أساتذة الأدب العربي، الذين رافقونا في مشوارنا الدراسي طوال ثلاث سنوات، ولا ننسى أن نقدم إلى كل من قدم لنا يد العون من قريب أو من بعيد وحفّزنا على إتمام هذا العمل.

نختمها بمسك الصلاة على طه الحبيب محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

الإهـــــــــــداء " أ "

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أعزّ ما لدي في هذا الوجود

إلى الذي شجعني ووقف إلى جانبي؛

إلى الذي أحمل إسمه بكل فخر وإعتزاز إلى صبر وتكتب المشاق وتحمل الصعاب الدنيا وأشواكها ليراني أتقلد هذه الدرجات لأحيا حياة أفضل؛

"أَبـــــــــــــــــِي" العزيز وقدوتي وفخري.

إلى" أُمـــّـــــــــــــــي" الغالية التي دعواتها نور يضيء حياتي، وينير دربي.

إلى أعزّ صديقة ورفيقة دربي، وأختي " عاشـــو تركية"؛

وأشكرها جزيل الشكر على مساعدتها لي ووقفتها إلى جانبي.

إلى أستاذتي المحترمة أستاذة: " بـــــــــــشارف"؛

أشكرها شكر خاص على تشجيعها لي، فلقد كانت قدوتي في إتمام هذا البحث.

الإهـــــــــداء " ب"

أحمد الله عزّ وجل على منّه وعونه لإتمام هذا البحث.
إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له آماله؛
إلى من كان يدفعني قدماً نحو الأمام لنيل المبتغى؛
إلى الإنسان الذي امتلك الإنسانية بكل قوة؛
إلى الذي سهر على تعليمي بتضحيات جسام مترجمة في تقديسه للعلم؛
إلى مدرستي الأولى في الحياة،" أبي" الغالي على قلبي أطال الله في عمره؛
إلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء والحنان؛
إلى التي صبرت على كل شيء، التي رعتني حق الرعاية وكانت سندي في الشدائد، وكانت دعواها لي بالتوفيق، تبعتني خطوة خطوة في علمي؛
إلى من إرتحتُ كلما تذكرت إبتسامتها في وجهي نبع الحنان أمي أعز ملاك على القلب والعين، جزاها الله عني كل خير الجزاء في الدارين؛
إليهما أهدي هذا العمل المتواضع لكي أدخل على قلبهما شيئا من السعادة؛
إلى إخوتي وأخواتي الذين تقاسموا معي عبئ الحياة: محمد، حنان، بشرى؛
إلى أعزّ صديقة وأخت وحبيبة " نجوى"؛
وإلى كل من يؤمن بأن دور نجاح التغيير هي في ذواتنا وفي أنفسنا قبل أن تكون في أشياء أخرى.....

قال الله تعالى:" إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم"
{سورة الرعد؛ الآية 11}

الطالبة: عبدون خيرة

مقـــــــدمة:

يعتبر الشعر من أوائل الفنون الأدبية العربية، حيث برز في التاريخ الأدبي لدى العرب منذ قديم العصور العربية، كما يعتبر وثيقة يمكن من خلالها التعرف على أحوال العرب الماضية، بالإضافة لتاريخهم وثقافتهم وحياتهم العامة، وعمل العرب غلى تمييز الشعر عن غيره من الفنون الأدبية الأخرى، مما ساهم في إستخداما لعديد من التعريفات لمفهوم الشعر لأنه يعتبر كلاما مقضى وموزونا، كما إعتمدت القصيدة الشعرية على مقومات يجب أن تتميز بها حتى يتم وصفها بأنها قصيدة صحيحة، وللشعر القرجي مجموعة من العناصر التي تعتمد عليها وقد إستخدم الشعراء العرب القصيدة الشعرية في مجموعة من الأعراض الأدبية،والشعر الأندلسي نوعا مميزا من أنواع الشعر العربي ويطلق عليه ذلك الفن الشعري المنبثق عن الحضارة الأندلسية، وينفرد لمجموعة من الخصائص لاسيما الفنون الشعرية المتنوعة التي نظم فيها الشعراء كالوصف والرتاء والإستنجاد برسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويعتبر الوضوح والبساطة من أكثر ما تميز به الشعر الأندلسي، والتلميح إلى الأحداث والوقائع التاريخية وخاصة المتعلقة بأمر رتاء الممالك المندثرة أما فيما يتعلق بتراكيب الأبيات الشعرية الأندلسية، فتمتاز ألفاضها بالوضوح والسهولة ورقة الأسلوب والإهتمام بالصنعة اللفظية ومن المتعارف عليه فقد التزم الشعر الأندلسي كل الإلتزام بوحدة الأوزان والقوافي في بداية ظهوره ومع مرور الوقت بدأ الأندلسيون بإبتداع ما هو جديد من الأوزان خاصة بعد إنتشار الغناء في

المجالس ففي ماذا تمثل هذا التجديد وما هي مظاهره؟ وبما إمتاز الشعر الأندلسي؟ وما هي خصائصه؟

ولقد كان سبب إختيارنا لهذا الموضوع راجع لأسباب ذاتية وهي من الإطلاع والبحث في الشعر الأندلسي ومميزاته وأسباب موضوعية تتمثل في أهمية هذا الموضوع الذي أصبح متميزا للجدال، وقسمنا بحثنا هذا إلى فصلين مسبقين بمدخل فكان حديثنا فيه عن نشأة الشعر الأندلسي وأهم أعراضه والأسباب التي أدت إلى نهضة الشعر في الأندلس.

لنمر بعد ذلك إلى الفصل الأول الذي قسمناه إلى مبحثين نضمن المبحث الأول التجديد في الشعر الأندلسي والمبحث الثاني نضمن مميزات وخصائصه.

ثم إنتقلنا إلى الفصل الثاني قسمناه أيضا إلى مبحثين، تحدثنا في المبحث الأول عن شعر الطبيعة ودورها الفعال في موضوعات الشعر والمبحث الثاني في تناول شعر الطبيعة عند إبن خفاجة كما أشعنا بنموذج من قصائده الشهيرة "قصيدة الجبل".

وفي الأخير ختمنا بحثنا بحوصلة لما جاء معنا في هذا البحث متتبعين الوصفي التحليلي معتمدين على المراجع والمصادر التالية "الأدب الأندلسي التطور والتجديد لمحمد عبد المنعم خفاجي، وأدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث لبطرس البستاني، وقرآن في الشعر الأندلسي لدكتور صلاح جزار،-ترسل الشعراء في الأندلس، دكتور سالم عبد الرزاق سليمان، فوزي سعيد عيسى، في الأدب الأندلسي.

- ومن الصعوبات التي واجهتنا طبيعة البحث ذاته وقلة المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع لكن بفضل الله وعونه وبفضل حرص الأستاذة المشرفة وتتبع نصائحها قد ساعدت على إتمام هذا البحث وإخراجه بصورة كاملة نوعا ما فنشكرها جزيل الشكر على مساعدتها لنا، ونأمل أن تكلل ثمرة هذا البحث بالنجاح بإذن الله لنا ولجميع الطلبة، وأن نكون قد إستفدنا وأفدنا إن شاء الله.

المدخل

مدخل:

أطلق العرب اسم الأندلس على جميع للبلدان الاسبانية التي فتحوها وقيل لها فنداليسيا، وهي أول ارض وطئها العرب من اسبانيا وعرفوا باسمها، فحرفوه فقالوا أندلس[1].

وكان اهمم انقله العرب معهم إلى الأندلس الشعر والأدب، فقد ظل ملازما في حلهم وترحلهم، وما كادوا ينيخون رحالهم في ارض الأندلس من أخذت بذرة الشعب تنموا شيئا فشيئا من غدا الشعب ارقي للفنون وأكثرها خطورة بين أهل الأندلس كافة عربا ومستعمرين ولدى الطبقات الاجتماعية ملوكا ووزراء وقضاة ورجالا ونساءا.

وعلى الرغم من المحن التي تعرض لها التراث الأندلسي من الحرق والإتلاف والنهب نتيجة الحروب والفتن والنزعات ونتيجة الحرق على يد الإسبان بعد استلائهم على غرناطة سنة 897 هـ / 1492 م، إلا أن عدد غير قليل من دواوين الشعب الأندلسي والمجاميع الشعرية الأندلسية قد نجت من تلك المحن، من أتاح لدارسين الوقوف على روائع من ذلك الشعر، وقد أملت الظروف السياسية والاجتماعية والبيئة التي عاشها الأندلسيون على شعراء الأندلس النزوغ إلى موضوعات شعرية أكثر من غيرها، فجمال الطبيعية الأندلسية وسحرها الأخاذ دفعهم إلى الإكثار من وصف الطبيعة والتفنن فيه، وتنوع أصول المجتمع الأندلسي ودفعهم إلى التنويع في الوصف مظاهر الحياة الاجتماعية والتفنن في شعر الغزل وما اتصل به من مجالس الغناء والطرب واللهّو والخمر، وكان لسقوط مدنهم على يد

[1] بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس، توزيع دار الجيل، دون طبعة، بيروت، دون تاريخ،، ص06.

الإسبان اثر بالغ في الإكثار من شعر الاستنجاء وشعر رثاء المدن والشعر السياسي والتاريخي بشكل عام [1].

لقد كان الشعر في الأندلس الأكثر ذيوعا من أي جنس أدبي أخر لأنه يمثل أهم مظاهر الحياة العقلية والعربية في الأندلس وساعدت الطبيعة الفاتنة كما أسلفنا، وكان الحنين إلى المشرق يمثل جانبا كبيرا من أماني شعراء الأندلس وأحلامهم، فهذا **عبد الرحمان الداخل** : يتذكر أرض أبائه وأجداده فيقول :

تبدت لنا وسط الرصّافة نخلةٌ

ثناءت بأرض العَرب عن بلد النخلِ

فقلتْ: شبيهي أنت في التغرب والنوى

وطول الثنائي عن بني وعن أهلي

نشأت بأرضٍ أنت فيها عربية

فمثلك في الإقصاء والمنشأى مثلي

[1] صلاّح الجرار، قراءات في الشعر الأندلسي، دار الميسرة لنشر وتوزيع والطباعة، ،دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ، ص 07-08.

نضوج الشعر وإخصاب الصّور الشعرية، كما كان لمجالس الأنس والبهجة الأثر الكبير في التنوع أعراض الشعر[1].

فقد شملت أعراض الشعر الأندلسي جميع الفنون من المدح وهجاء وفخر وحماسة ورثاء ووصف وزهد والتصوف والوصف.

1) **الوصف**: في وصف مناظر الطبيعة وجمال الكون فوصفوا الرياض والبساتين والأشجار والثمار والأزهار والطيور ووصفوا أساطيل البحر، وسير الجيوش ونشوب المعارك والقصور والتماثيل ومجالس اللهو والطرب والسهر[2].

2) **المدح**: يكثر هذا الغرض في الموشحات غالبا، ولعل أشهر موشحة هي التي تظمها **لسان الدين الخطيب** في هذا الإطار في مدح **الأمير الغني بالله** صاحب غرناطة : فيقول :

جاءكَ الغيث إذا الغيث همى يا زمان الوصيل بالأندلسِ

لم يكن وصلك إلا حلمًا في الكرى أو خلسة المخْتلسِ[3].

[1] مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ، ص247ص 248.

[2] محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، دار الجيل ، بيروت لبنان ، ط1 ،1412هـ . 1992م ،ص308.

[3] شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ، ص41.

3) **الرثاء:** قلدوا المشرق فيه، وتفجعوا على الميث، ووصفوا المصيبة وعددوا المناقب، يقول **ابن مزمون** في رثاء **أبي الحملات** قائد الامحنة ببلنسية، وقد قتله نصارى اسبانيا.

يا عين بكّى السّراج الأزهر.....النيرا اللامع.

وكان نعم الرتاج فكسَّ .....كي تنثرا مدامع[1].

رثاء الممالك الزائلة وذلك حينما تقلص ملك المسلمين واستولى أعدائهم على مدنهم وحصونهم كقول **صالح بن شريف الرندي** 898 هـ يرثي الأندلس:

لكل شيء إذ ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول من شره زمن ساءته أزمان

4) **الهجاء** : لقد تميز الهجاء عند بعض الشعراء في الأندلس بالتطرق والقسوة، **فابن حزموز** مثلا حين هجا نفسه كان اشد قسوة من ألذ أعدائه ويقول في ذلك:

تأملت في المرآة وجهي فَخِلْتُهُ كوجه عجوزٌ قد أشارت إلى اللهّو

وإذا شئتَ إن تهجو تأمل خليقتي فإذا بها ما قدْ أرَدَتْ من الهجو[2]

5) **الغزل** : كان لكل ما في الأندلس يدعو إلى الغزل والنسيب فمن الطبيعة فاتنة إلى الحضارة وعمران والى حدائق ورياض إلى المجالس اللهو والخمر والغناء، إلى الأسواق للنخاسة رائجة يباع فيها

[1] مصطفى الشكعة ، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ، ص437

[2] المرجع السابق، ص5855.

الجواري والغلمان بأثمان بخسة لكثرتهم، واخلدوا إلى الحب والغزل وكان للشعراء قسط وافر من هذه الحياة الرخيصة، فتغزلوا وأفرطوا في التشبيب، فمنهم من كان يحن إلى الأسلوب البدوي فيذكر أماكن العرب في البادية، ومنهم من كان يحن إلى عرائس الشعر عندهم أو يحذوا حذو **امرئ ألقيس وابن أبي ربيعة** في القصص الغرامي واجتياز الأهوال إلى من يجب:

كما قال أبو عامر بن شهيد معارض رائية عامر :

وأخرى اعتقلنَا دونهُنَ ودُونَهَا قصور وحجابُ ووالٍ ومعشرُ

يزينها ماء النعيم وحفها من العيش فينان الأراكة اخضرُ

إذا رامهَا وحاجة صدّ وَجْهَهُ ظن الباترات و الوشيحُ المكَّرُ

ومنْ فيه لا يدرك الطرف رأسها نزل بها الريح الصَّبا فتحَدَرُ

إذا زاحمْت منها محارم صَوَّبتِ هويا على بعد المدى وهي تجارُ

تكلفتها واللّيل قد جاشَ بَحْرَهُ وقد جعلت أمواجَهُ تنكسُ[1].

6) **الموشحات** : الموشح فن شعري مستحدث، يختلف عن ضروب الشعر الغنائي العربي في أمور عدة . وذلك بالتزامه بقواعد معينة في التقفية وبخروجه غالبا على الأعاريض الخليلية، وباستعماله اللغة

[1] بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعات، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ، ص74.

الدراجة أو العجمية في خرجته، ثم باتصاله القوي بالغناء[1] استنبطه أصل الأندلس وسموه موشحا، بما فيه الصنعة والتبتين ، فكأنهم نظروا إلى وشاح المرأة وما فيه من توضيح وتكريس وتفصيل فشبهوه في أسماطه وأبياته وأقفاله[2].

وكان لظهور الموشحات اثر بليغ في الشعر والشعراء لان اعتمادها على الغناء جعلها على أفواه المغنين ويتلقفها الناس من كل صوب، يحفظونها ويتناقلون، حتى بلغت على الشعر واحتلت مكانه وأصبح الملوك يأنسون بها في مدائحهم ويرطبون إلى سماعه، ويجيزون عليها كما يجيزون على القصائد وبلغ من شغف الشعراء بها، انّه ما اشتهرت الموشحة وتداولاتها الألسنة، إلا انبرى جماعة منهم إلى معارضتها.

فقد نظم **ابن سهل** موشحاته التي أولها:

هلْ درى ظبيُ الجمى أن قد حمى قَلَبَ صَبّ حله عن مَكْنَسِ

فهو في خر، وخفقِ مثلمَا لعبت ريحُ الصبا بالقبس[3].

7) **الشكوى والاستعطاف** : هذا النوع يكاد يتصل بالرثاء لما فيه من بكاء على الماضي، وتألم على الحاضر، ويكاد يختص بطبقة الملوك والأمراء والوزراء لما نالهم من النكبات

[1] مرجع السابق، ص371.

[2] – المرجع السابق، ص 372.

[3] – بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث، ص 42

على بعد رقعة، وذلوا من بعد عزة من ذلك قول **ابن اللبابة** في فخر الدولة بن المعتمد بن عباد : وقد رآه بعد سقوط دولتهم في سوق الصياغة ينفتح الفحم بقصبه الصائغ:

شكَأْتنَا فيك يا فخرَ العُلى عظُمْتَ و الرزء يعظم فيمن قدره عظما

طوقت من نائبات الدهر محنفة صاقت عليك ، وكم طوقتنا نعما

وَعَادَ طَوْقُكَ في دكانِ فارغةٍ من بعد ما كنت في قصر حكى إرمَا

صرفت في آلة الصّواغ أنملة لم تدرِ إلا الندى والسيف والقلما

يد عَهَدتْكَ للتقبيلِ تبسُطها فتستقل الثُرَيَا أنْ تكون فما

للنفج في الصّور هَوْلٌ ما دكاه سوى هوْلِ رأيتكَ فيه تنفخ الفحمَا

وددت إذ نظرت عيني إليك به لو أنّ عيني تشكوا قبل ذلك عمى.

ومنه استعطاف الوزير ابن عمار المعتمد بن عّبادة وهو في سجن إشبيله:

سَجاياك ، إنْ عافيتَ ، أدْنَى واسمحُ

وعن ركَ ، إنْ عافية ، أجْلَى وأوضحُ

وان كَان بيْنَ الحُطتين مَرَيّة

فأنتَ الى الأدْنى مِنَ الله أَجْنحُ[1]

[1] – المرجع السابق، ص 43-45.

اقلني بما بيني وبينكَ من رضاَ

له نحو روح الله باب مفتحُ

وعفَّ على آثارِ جرمٍ جنيتهُ

بهبةً رحمن منك تمْحُو وتصفحُ

ولَا تلتفت رأي الوشاةٍ وقولَهُمْ

فكل إناء بالذي فيه يرشَحُ

وقالوا: سيجربه فلانٌ بفِعلِهِ

فقلتُ : وقدْ يعفو فلانُ ويصفحُ

إلا أن بطشًا للمؤيد يتقى

ولكن حلما للمؤيدِ أرجَحُ

وبين ضلوعي من هواة تميمةٌ

ستشفع لو أنَ الحِمَامُ مجلهُ[1]

8) **الحماسة والفخر** : لم يشهد في الأندلس شعراء فرسان يخوضون معا مع القتال، ويذكرون بلائهم في مواقف الأهوال، وإنما شعراء مداحون، ووصفوا شجاعتهم، ومعاركهم، وخضوهم على الجهاد فكانوا أشبه بالمصّورين يرسمون مشاهد الحرب، ولا يصّلون نارها، لذلك لم يرتفع شأن الشعر الحماسي عندهم لان هذا الفن لا يقوم قائمة إلا في مواطن الشعراء، المغاوير ولم يعرف من شعراء

[1] – المرجع السابق، ص 43-45.

الحماسة إلا في نقد لا يحث بهم أمثال ابن وهيون لأنهم كانوا ينظمون الحماسة بدافع التقليد والتكلّف لا بدافع العاطفة والخاطر المطبوع.

ودونك شيئا من حماسيات **ابن وهيون** و مفاخره:

أتخَفَى على الأيامِ غد مناقبي وقد يد شاوي وكلّ نقاب

ويركبني رسم الحمولِ وقد عدتْ خصال العلى و المجدِ طوع ركابي؟

سأرميْ بهمَاتيْ قصارى مَراتيْ وإنْ كان أدْناهَا يطيل طلابيْ

لتعْلَمَ أطرافُ الألسنة أنيْ كفيلُ بهاَ عند الصدى بشراب

وتستشهدْ أطراف البارعات أنيْ يمنى مُصيبُ فصْلُ كلَّ خطابِ

وليسَ نديمي غيرَ ابيض ضارمٍ وليسَ سميري غير شخصِ كتابِ

واصدق الفخر عندهم ما استطبغ بالعاطفة الدينية، لان الشاعر الأندلسي كثير المباهات بإسلامه لما بينه وبين جيرانه النصارى من العداء المستحكم والتنافس الشديد.

9) **التصوف** : هو الغاية التي ينتهي إليها التزهد في الإسلام وانتشار الزهد في الأندلس أفض إلى التصوف وكان لرحلات المشارقة إلى الغرب ورحلات المغاربة إلى الشرق يد في اتصال متزهدي الأندلس بالمتصوفة المشرقين، ونظموا الشعر الصوفي مثلهم والمع شعرائهم ابن العربي الشهير، شيخ المتصوفين له مرشحات صوفية سائرة منها التي أولها سرائر الأعيان وفيها يقول [1]:

[1] – المرجع السابق، ص 46-48.

سرائر الأعيان لاحت على الأكوان للناضرين

والعاشق الغَيْرانْ، متدلك في حَرَّان . يبدي الأنِينَ[1]

10) **الحكم** : الحكم في الشعب الأندلسي، ضعيفة النتاج، ساذجة التفكير بديهة التصور، لا تدل على ثقافة ناضجة، وعلم واسع، لان الفلسفة والمنطلق لم ينتشرا في تلك الربّوع إبان دخولهما إليها كما انتشروا في البلاد الشرقية ليستسقي منهما الشعراء، وإنما كان يعي بهما أفراد المتخصصون ولم ينبغ فلاسفة الغرب المشهورون إلا في القرن السادس للهجرة بعد أن أمحت معالم الفلسفة في المشرق.

11) **الزهد:** غير عجيب أن يظهر فن الزهد في الشعر الأندلسي وقد علمنا ما للفقهاء من سلطان على الخاصة والعامة، فلا بدّ لهذا السلطان أن يقود إلى التعصب للدين، ولاستمساك بأحكامه، ثم إلى التظاهر بالعبادة والتقوى، والاقتداء بالأولياء الصالحين ، والنفور من الدنيا وزينتها والابتعاد عن زخرفها وغرورها، فيكثر الشعراء المتزهدون من يصبح الزهد صناعة مطلوبة، وزيا مرغوبا فيه فمنهم من ينظمهم بعامل التقوى والصلاح ومنهم من ينظمه اقتداء بغيره وإرضاء للفن، ومنهم من ينظر إلى الدنيا نظرة خائف فيهم غرورها ويذكر ذنوبه وجنونه بملذات الحياة فيندم ويعتذر إلى الله ثم يعود إلى عيبه ومعاصيه، ومن زهادياتهم :

قال **ابن عبد ربه** في توبته:

إلا إنما الدنيا غضارة أيكة إذا اخضر منها جانب عن جانب

[1] – المرجع السابق، ص 46-48.

هي الدارُ ، ما الآمال إلا فجائع عليها ، ولا اللذات إلا مصائب

فكم سخُنَّتْ بالأمس عيناً فريدة وقرت عيوناً دمعَها اليوم ساكبُ

فلاَ تكتحل عيناكَ منهاَ بعبرة على ذاهبِ منها، فانك ذاهبُ[1]

12) **وصف المعارك** : لابد أن يكون لوصف المعارك نصيب وافر في الشعر الأندلسي فان المسلمين لم يبتوا ليلة في البسانية إلى على الحرب وشيكة أو حرب يصلون ظلها، وقد أحصيت الوقائع التي نشبت بينهم وبين القرلجة منذ دخولهم الأندلس إلى يوم خروجهم منها فإذا هي سبعمائة واقعة وثلاثة ألاف، ماعدا الفتن الداخلية التي أثارها المسلمين بعضهم على بعض، فحفلت مدائح الملوك والأمراء يذكر المعارك في الجيوش والعدد والحارقات حتى إن **ابن عبد ربه** : نظم ارجز في نحو خمسين بيتا وأربعمائة وصف فيها **مغازي عبد الرحمان الناصر** : وفتوحه من سنة 301 إلى 322 هـ (913 – 933 هـ) وهذه الأرجوزة لا تتعد مع طولها في طبقة الملامح لضعف الخيال الشعري فيها، فإنها مجرد أخيار وسرد حوادث ثمن إلى التاريخ أكثر مما تمت إلى الشعر واليك شيئا من إحسانها:

فأشرعت بينهُم الرماح وقد علا التكسر والصياح

وقارقتْ أعمادها السَيُون وقعَرتْ أفواهُمْ الحتوف

والتفتْ الرجَالُ بالرجَالِ وانعَمَسُوا فيْ عَمرة القتالِ

في موقف زاغتَ به الأبصَارِ وقصرتْ في طولهِ الأَعمار

[1] – المرجع السابق، ص 49-52.

وَهَبَ الأهِل الصبر و البصائر فأزعقوا على العدوا الكافرِ

فانقضت العُقبانِ والسلالقة رهقا على مقدم الحِلالقة

عقبان موت تحطي لأزوجاً وتشيع السيوف و الرماحاً

فانهزم الخنزير عنده وانكَشفت عَوْرَته مَنَاكاَ[1]

13) **الخمريات** : عني الأندلسيون بوصف الخمر لشغفهم بها، وإقبالهم على شربها لان الطبيعة في بلادهم وما فيها من منارة ورياض وانهار لحمل النفس على طلب اللهو والشراب، فجاءوا نعتها ووصفوا معها أنيتها والساقي والنديّم ومجالسهم وما يجري فيها من غناء وعبث، وكانوا يتوكئون في كثير من معانيهم على **أبي نواس** وأولعوا بقوله:

تسقيك من طرفها خمرًا ومن يدها خمرًا فمالك من سكرين من يد .

فتناوله جملة من شعرائهم وتفننوا في إلا انسحاب عليه ، وأحسن ابن عبد ربّه إذ يقول :

يأبي من يزرها على بوجه كاد يَدْمَى لما نظرت إليه

ناول الكأس واستمال بلحظ فسقتني عيناه قبل يديه[2]

وكان من الأسباب التي دعت إلى نهضة الشعر في الأندلس:

[1] – المرجع السابق، ص 53–57.

[2] بطرس الستاني، المرجع السابق، ص ص61.58.

1)**طبيعة بلاء الأندلس** : وما فيها من المناظر المختلفة والأمطار المتصلة و الأدواح الظليلة، والأنهار الجارية، والسهول الخصبة والجبال المكسورة والمروج الموشاة بألوان الزهر، والقصّور الشاهقة، والرياض الغناء والغواني الحسان كل ذلك اكسب الوجدان لطفا والمعاني دقة والألفاظ جمالا وروعة.

2) **عناية الملوك الأمراء** : يفرض الشعر حملة الشعب جميعه على الإقبال عليه حتى أصبح قول الشعر زينة كل أديب، وجمالا لكل عالم أولع به الفقهاء والنحاة والفلاسفة، والرياضيون والأطباء والمؤرخون. كما أولع به الكثير من النساء حتى نبغن فيه، وبارين الرجال وقلن الجيد الممتع منه كقول حمدونه الأندلسية تصف واديا :

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم

حللنا دوحه ، فحنا عليه حنو المرضعات على الخطيم

3) كثرة جمهرة العرب في الأندلس ، وتمكن سلطان في أيديهم وشدة محافظتهم على تقويم لسانهم [1].

من أعلام الشعراء الأندلسيون :

نبغ في الأندلس من الشعراء كثيرون منهم : ابن عبد ربه (246- 328 هـ)

وابن هانئ (326- 363)، والغزال (156 – 250 هـ)، وابن زيدون (394 -423) وابن خفاجة (450- 533 هـ)، وابن وهيون المتوفى قبل533 هـ، والأعمى التطليلي المتوفى قبل عام

[1] مصطفى عبد المنعم خفاجي ، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ، ص308..309.

542 هـ، وابن برد الأصغر الذي قتل عام 431 هـ، وأبو حفص الأكبر المتوفى عام 428 هـ ابن دارج ألقسطلي (347 – 421 هـ) ولسان الطين الخطيب (712- 776هـ)وابن الحداد المتوفى عام 480 هـ، والفتح بن خافان المتوفى عام 529 هـ [1].

[1] محمد عبد المنعم خفاجي ، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ، ص306.

الفصل الأول

الفصل الأول : مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي.

المبحث الأول: التجديد في الشعر الأندلسي

المطلب 1) من حيث الشكل (الموشحات والأزجال)

لقد عرف الشعر الأندلسي تغيرا من الناحية الشكل بما لم يعرفه من أي صقع من أصقاع البلاد العربية الإسلامية وطرا وان كان الشعر في الدولة العباسية طرأ عليه تغيرا الأنف الذكر وهو في ارض عربية وفي جوّ غالبه عربي، فكيف يكون الحال في زمر كثيرة اجتمعت تحت ظل قرطبة والذاهب والثقافات متلاحمة والعلوم والأدب مزواجة وهم في جزيرة إفرنجية ؟

فلقد ظهرت في الأندلس ألوان جديدة من الشعر لم تعهد هل العرب من قبل، تندرج معظمها الشعر الغنائي، وارتسمت فيها مظاهر الحياة الأندلسية، من طيب الهواء ولطاقة الأجواء وجمال التلال، وخضرة الجبال وصوت العصافير، ولين النسيم وزهد العيش فجاءت شعرهم نغمات موسيقية عذبة ترددها القبان، إذا فكروا ونظروا كي يستنبطوا ويستخرجوا أشكالا جديدة متلائم أمزجتهم وتشبع رغباتهم، فاستحدثوا تلك الصنوف وأهمها من بينها :

1)فن الموشحات يقول **محمود فاخوري** في شانها " ويمكن أن نحدد، الموشح بأنه قالب شعري عربي وشكل مستحدث للقصيدة شد فيه الأندلسيون عن مأثور نظامها الموسيقى الموروث في الوزن الواحد والقافية الواحدة إلى نظام آخر يحمل خصائص معنية [1].

ويعتمد الموشح على أركان أربعة وهي القفل والبيت والغصن و الخرجة كل موشح أندلسي يتركب من وحدتين تتكرر عددا من المرات، وحدة يبدأ بها الموشح

[1] محمود فاخوري، التجديد العروض في شعر الموشحات الأندلسية، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ، دون صفحة.

في العادة وتسمى "قفلا " فإذا لم يبدأ بها وبدا مباشرة بالوحدة الثانية تسمى " غصنا " ويتكون الموشح النموذجي في العادة من ستة أقفال، تنحصر بينها خمسة أغصان ولكن الوشاح غير ملزم بذلك إن شاء يزيد أو ينقص واجتماع الغصن التالي يسمى " دورا " وبعضهم يسميه " بيتا " فالموشح النموذجي على هذا الأساس يتكون من خمس ادوار أو أبيات وقفل ختامي يدعونه " الخرجة " لكن الأقرع يشد عن ذلك لان احد أقفال ساقط ، وللتمثيل نورد هذا الموشح التام وقد حذفنا منه سطورا اختصارا :

سلم الأمر لقضا (غصن) فهو لنفس انفع (غصن)

وهذان الغضان هما (المطلع)

أنا افديه من رشا (سمط)

أصيف الفدو و الحشا (سمط)

سق الحسن فانتشى (سمط)

وهذه الأسماط الثلاثة هي (الدور)

من تولى واعرضا (غصن) ففؤادي يقطع (غصن) [1]

وهذان الغصنان هما (القفل)

والدور مع القفل هو (البيت)

ماترى حين اظعنا (سمط)

وسرى الركب موهنا (سمط)

[1] أحمد بن مقري التلمساني، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج.1، دار صادر، بيروت لبنان، ط.1، ص 251.

واكتسى الليل بالسا (سمط)

ونورهم ذا للذي أضأ (غصن) أم مع الركب يوشع ؟ (غصن)

وهذان الغصنان هما (الخرجة) لأنهما يشكلان أخر دخل في الموشحة

والدور مع الخرجة هما (البيت) [1].

آخر عنصر من الموشح هو (الخرجة) التي والها الوشاحون اهتمام عظيم لأنها تأتي في نهاية الموشح، واغلب الأحيان تعلق الكلمات الأخيرة في النّفس فترددها على الدّوام وغالبا ما تكون مرحة راقصة و الخرجة بارة عن قفل الأخير من الموشح، والشرط أن تكون حجاجية من قبل ألفاظ عامة[2].

ولعل امتزاج جو الموشحات نحو اللّهو والشراب والرقص جعلهم يعمدون إلى جعل الخرجة كذلك تتماشى مع حالة سكره فهي عادة تعاد في أثناء الغرف لتوحي بنهاية الموشح، فلا يكن أن تكون جافة بل هي أكثر ما تكون على السنة الصبيان والنشوات والسكري والسّكران، ولا بد في بيت الذي قبل الخرجة من قال أو قلت أو قالت أو غن أو غنيت أو غنت[3] فلها وقعها الخاص في النفس.

وبعد هذه الوقفة عند أجزاء الموشح وعناصره التي تؤلفها بيته ووحدته يحسن بنا أن نتحدث عن وزنه العروضي والتفعيلي ومدى ما فيه من تجديد في هذا الجانب وفي هذا السياق القائم على التلحين والوزن ويمكن أن نقسم الموشحات إلى خمسة أقسام :

[1] أحمد بن مقري التلمساني، المرجع السابق، ص 251.
[2] بن سناء الملك، دار الطراز في عمل الموشحات، دار الفكر، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ، ص 31
[3] المرجع السابق، ص 31.

1) **قسم يلتزم بالبحور الشعرية الستة عشر الموزونة:** التزام تاما، من حيث أوزانها المعروفة أما فيها عدا ذلك فإنها تختلف في شكلها الفني وتوزيعها الإيقاعي عن شكل القصيدة، وقليل من الوشاحون من يلتزمون بنظام الشطرين وحده في الموشح، على طريقة القصيدة العربية ولكنهم حتى في هذه الحالة يحافظون على طريقة الأقفال والأبيات جون مراعاة الخرجة .ومن هذا القبيل موشحة ابن سهل الاشبيلي (649 ه / 1251 م) بقفل مؤلف من أربعة اشطر على بحر الرمل:

هل درى ظبي الحمى أن قد قلب صب حلّه عن مكنسِ؟

فهو حر وخفق مثلما ريّحْ الصّبا بالقيس

وختمها بهذا القفل الأخير :

قلت ، لمّا تبدّى مُعْلَما وهو من ألحاظه في حرس

أيها الآخذ قلبي مغنما يجعل الوصل مكان الخُمُس.

ومابين القفلين، الأول والأخير تأتي " الأبيات " وعددها خمسة، على وزن الرمل أيضا، لكن قوافيها تختلف "من بيت إلى آخر وكل بيت مؤلف من ستة اشطر، وأولها بعد المطلع (القفل الأول) وقافيته راء ساكنة

يا بدورًا أشرقتْ يومَ النَوى فرارَا تسلكُ بي نهجَ الغَرَرْ

ما لنفسي في الهوى ذنبُ سوى منكم الحسنْ ومن يديَ النظرْ

اجتنبي اللّذات مكلومَ الجّوى والتذاذي من حبيبي بالفكرْ[1].

[1] أحمد حسين القرني ، ديوان ابن سهل الأندلسي ، المكتبة العربية الجماهير ، (مطبعة الترقي) ط.1، مصر ، 1344ه.1426م. ص 53-55.

وبعد ذلك تتوالى الأبيات بين الأقفال على هذا النسق

وأما النوع الأخر من الموشحات الجارية على الأوزان الموروثة فان الموشح تام على بحر الرمل، ذو ستة أقفال وخمسة " أبيات " وكل بيت مؤلف من ثلاثة أشطار، والقفلان الأولان يأتيان على النمط التالي :

مع القفل الواقع بينهما، وتتبعه بقية الأقفال والأبيات على النمط نفسه مع اتفاق في قافية الأقفال واختلاف في قوافي " الأبيات "

أيها الساقي إليك المشتكي قد دعوناك وانّ لم تسمح.

وتديم حيث في عرفته.

وبشرب الراح من راحته

كلما استيقظ من سكراته

جذب الزقّ إليه وإنكار وسقاني أربعا في أربع[1].

2/**قسم يظهر فيه التجديد على استحياء :** وهو ما يفعله بعض أصحاب الموشحات بعد ابتعاد موشحاتهم قليلا عن البحر التقليدي ، وذلك بتعديل بعض تفعيلاته ، أو إدخال شيء من الزيادة أو النقصان في حركاته وكلماته ، أو في تقفية حشو الأبيات في موضع معين للتزين والزخرفة ومثال ذلك : الموشح التام الذي سبق **لابن زهر** وأوله :

حَيّ الوجود المِلاحا وحَيّ نُجِل العيون

[1] بطرس البستاني، أدباء العرب. دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ، ص77.

هل في الهوى من جُناح

أو في نديم وراح ؟

رام النصيحُ صلاحي

وكيف أرجو صلاحا بين الهوى والمجون

فهذا الموشح يقوم في أصله على وزن البحر المجتث (مستفعلن ، فاعلاتن)

ولكن ابن زهر لم يبق الضرب في الأقفال كلها على "فاعلاتن " بل جعله مقصورا بحذف ساكن السبب الخفيف في آخره وتسكين ما قبله فصار (فاعلان ، فاعلان) وهذا التغير لا وجود له في وزن المجتث الموروث[1].

ومن هذا القبيل موشح **أبي بكر بن بقي** (540 ه/ 1145 ه) وأوله

يا ويحَ صبٍّ إلى البرق له نظَرُ وفي البكاء مع الوُرْق له وطرُ

من اجل بعدٍ عن صَحْبي بكيتُ

كم لي هنالكَ من سِرْبِ ووصلِ دُمى

وعسكرُ الليل في العَرَبِ قد انهزمَا

والصبح قد فاض في الشرق له نهَرُ وسال من أنجمُ الأفقِ دَم

[1] عمر دقاق، ملامح الشعر الأندلسي، دار الشرق العربي،ط.1، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ، ص341.

فهذا الموشح من وزن البسيط التام ، ولكن الوشاح التزم قافا مكسورة في وسط الحشو من شطري الإقفال جميعا، وبذلك بناها على أربع قوافٍ يتوقف عندها في القرأة أو الإنشاء بما يجعل القفل خارج البحر البسيط من حيث ظاهر أما الأبيات فقد جعل أغصانها شطر من البحر البسيط ولكنه جعل لكل غصن قافيتين (ب. ما)بحسب الظاهر مع التفعيلات الغصن كلها متتابعة في الوزن (مستفعلن فعلن، مستفعلن ، فعلن) ثم نوع هذه القوافي في سائر أغصان (الأبيات) ضمن الموشح كله.

3/ **النوع الثالث من الموشحات الموزونة:** وهو ما اشترك فيه أكثر من وزن واحد ويكون: ذلك بإحدى الطرقتين :

أ)استخدم بحر واحد في الموشح واحد كامل ، وذلك بتوظيف حالاته المختلفة من زخافات وعلل وأعارض واضرب، وتام ومجزوء، ومشطور ومنهوك ضمن الموشح نفسه لا يخرج في ذلك كله عن بحر واحد داخل موشح المنشود كان يأتي أشطار على الرمل التام، وأخرى على مجزوء الرمل أي يتفاوت عدد التفعيلات وأشكالها.

ب) أن يجمع صاحب الموشح بحرين اثنين في موشح واحد بحيث يأتي بأشطر على بحر ما تام، أو مجزوء، أو منهوك، تم يعدل عنه في اشطر تالية إلى بحر أخر التفعيلات، وذلك في حال تنقله من القفل إلى البيت أما الأقفال أو الأبيات كل منها ملتزما وحدة البحر مع نظائره في الموشح نفسه، من أقفال و" الأبيات " إضافة إلى وحدة القافية بين الأقفال أو في حشو الأقفال " والأبيات" و"المقفاة " في حشوها ومثال ذلك موشح للأعمى (القرن 3 ه - 9 م) يقول فيه[1]:

[1] إحسان عباس ، ديوان الأعمى التطيلي، دون دار النشر، دون طبعة، بيروت، 1963م، ص253.

المطلع (القفل الأول) :

ضاحك عن جُمان سافر عن بدر

ضاق عنه الزمانْ وحواه صدري

البيت الأول :

آه مما أجدْ شنّفي ما أجدْ

قام بي وقَعدْ باطش متئدْ

ملكا قلت قد قال لي : أين قد ؟

(القفل الثاني)

وانثنى خوط بانْ مصر نضْرٍ

عابثَتْه يدان للصّبا والقَطْرِ

وهكذا دواليك...

وقد جاءت التفعيلات في هذا الموشح على الوجه التالي :

المطلع (القفل الأول)

فاعلن فاعلانْ فاعلن مفعولن

فاعلن فاعلان فعلن مفعولنْ

البيت الأول

فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن

فاعلن فعِلن فاعلن فاعلن

(القفل الثاني)

فاعلن فاعلاْن فاعلن مفعولن

فاعلن فاعلان فاعلن مفعولن

إعتمد الشاعر في موشحته على تفعيلات البحر المتدارك

4) وقسم من الموشحات له أوزان وتفعيلات خاصة يدركها السامع عند القراءة او السماع ويستعذبها الذوق لكنها لا تنطبق على شيء من أوزان الشعر العربي الموروثة:

وقد حاول بعضهم حصر الأوزان والتفعيلات التي بني عليها هذا النوع من الموشحات وجهدوا في أن يردوها إلى نظام الأوزان العروضية التي حصرها **الخليل الفراهيدي** ومن بعده في البحور الستة عشر، وفروعها حتى أوصلوها إلى نحو 150 وزنا أو بحرا مخترعا، لا عهد للشعر العربي بها ولكن محاولتهم هذه اتسمت بشيء كبير من التكلف والافتعال فضلا عن إنها لم تستقص أوزان الموشحات كافة، فمازالت هناك موشحات خارج تلك الأوزان ولكن الإيقاع فيها على كل حال هو عربي خالص وتفعيلاتها متناسقة مع اختلاف تنويعاتها وان كانت لا يمكن أن تنتمي إلى بحر معين فالوزن العربي لم يقفل بابه على مر العصور، وليس هناك ما يحول بين الشاعر مجددا وبين استخراجه ما يريده من أوزان إذ جرى في الاستخراج على قاعدة سليمة في القافية والإيقاع ومثال هذا ما قاله **اللبابة** (507 ه / 1113 م)

القفل الأول

كم ذا يؤرّقي ذو حَدقٍ مَرضَى صِحَاحِ لأبلين بالأرق[1].

البيت الأول

قد باح دمعي بما اكتمه وحنَّ قلبي لمنْ يظلمهُ

رشا نمرَّن في "لا" فمه كَم بالمُنى أبدا التِمهَ

القفل الثاني

يفترُ عن لؤلؤ في نسقٍ من الافاجي بتسميهِ العَيقٍ

وجاء الوزن فيه على الوجه التالي: " القفل "

مستفعلن فعِلن مفتعلن مستفعلن متفْعلن مفاعلَتن

البيت الأول

مستفعلن فاعلن مفتعلن متفْعلن فاعلن مفتعلن

القفل الثاني

مستفعلن فاعلن مفتعلن منفْعلن مفتعلن مفاعلتن

5) والقسم الخامس والأخير من الموشحات ما ليس له وزن يدركه السمع عند قرأته وإنشاءه ولا يوزن إلا بالتحين وذلك بمد حرف وقصر أو خطف حركته و إدغام حرف في حرف وغير ذلك من فنون التحين :

[1] مصطفى عوضّ كريم ، الموشحات والأزجال، دار المعارف، دون طبعة، القاهرة، مصر.ص55.

هذا النوع .كما قال **سناء بن مالك** لا يدخل شيء منه في الأوزان العرب وهو النمط الذي يسود أكثر النماذج الوشاحين في الأندلس وعدده لا يقع تحت حصر ولا يستقصيه إحصاء لأنه قائم على التلحين فقط، ولا ميزان له إلا الضرب على العود أو النفخ في الأرغن ولا ضابط له سوى النغم والإيقاع عن طريق مد الصوت بإنشاء والغناء أو قصره وحبسه حتى ينسجم مع اللحن العام الذي يسود الموشح المغنى .

وهنا يؤكد التلازم و التواشيح الوثيق بين التواشيح والغناء، وما كان من هذا النمط فانه لا يعلم صالحه من مختل هالا بميزان الغناء والتحين الذي يجيد كسره ويقوم معّوجه، ويردّه صحيحا ولكن هذا لا يمنع من ورود بعض الكلمات أو التراكيب فيه موزونة أحيانا على بعض التفعيلات.

ومثال هذا النوع قول **ابن القزاز** في مطلع موشح له[1]

رُحْ للراح وباكرْ بالمعْلَمِ المَشُوفْ غبوتا وصبوحْ على الوترِ الفصيحْ

ليس اسمْ الخمر عندي مأخوذا فاعلَمْ

إلا من حاءَ الخدّ وميمِ الميْسِمْ

وراء ريق العاطر الفمْ

2) الزجل:

يعتبر الزجل فن من الفنون الشعرية التي ظهرت في الأندلس وقد نظموا هذا الفن بلغة مجردة من الأعراب ومزدحمة بالكلمات التي هي أصل محلي أو

[1] مصطفى عوض كريم، الموشحات والأزجال، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ، ص 54.

بربري، وهكذا أصبح لبلاد الأندلس فنا قائما بذاته، وأطلق عليه فن الزجل ولعلى كل ذلك راجع إلى التعدد الثقافي الذي عرفته بلاد الأندلس والاختلاط والشعوب الأندلسية ببعضها، الأمر الذي أدى إلى التنوع الثقافي في ضمن اللغة والأدب الواحد، ويمثل الزجل الفن الثاني المستحدث في الأندلس بعد الموشح [1].فهو يعتبر ضرب من ضروب النظم يختلف عن القصيدة من حيث الأعراب والتقضية وقد كتب بلغت ليست عامية بحيث بل هي لغة مهذبة وان كانت غير معربة[2].

نشأ الزجل وترعرع في بلاد الأندلس ، وعلى هذا فهو وليد البيئة الأندلسية فيهما ظهر ومنها خرج إلى البيئات العربية الأخرى وانتشري فيها.

وإن كان مؤرخو الشعر الأندلسي لم يشيروا من قريب أو بعيد إلى المخترع الأول لهذا الفن فإننا نجد منهم من عرض بالذكر الأول من أبدع القول فيه **فعبد الملك بن سعيد** المتوفي سنة 680 ه يقول عن ذلك : (قيلة – الأزجال قبل **أبي بكر بن قزمان** ولكن لم تظهر حلاها ولا انسكبت معانيها ولا اشتهرت رشاقتها إلا في زمانه، وكان في زمن الملثمين[3].

منذ استقر الزجل شكلا من النظم معترفا به ومنظومته تعالج مختلف الأعراض التي طرقتها القصيدة العربية التقليدية، كالمدح والهجاء والغزل ووصف الطبيعة والخمر ...

وقد استمرت تلك الأعراض قائمة بتناولها الزجالون على التوالي العهود والعصور حتى اليوم غير إن الزجالين في كل عهد معين وبيئة محددة مجالات يرتبطون بها، ومن تم كان مركز اهتمامهم ينتقل من أعراض بعينها، تلقى قبولا

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ، ط3، بيروت، 1414ه ص22.
[2] المصدر نفسه، ص23
[3] عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.ص290.

في هذا المجال أو ذاك إلى أعراض أخرى تختلف باختلاف العهود والبيات الثقافية التي ينتمون لها.

فقد عالج الزجل الكثير من الموضوعات التي عرفها الشعر الكلاسيكي، الزجل كان يمزج في قصيدة الواحدة بين غرضين أو أكثر، فالغزل يمتزج بوصف الخمر والمدح يأتي في معيته الغزل أو وصف الطبيعة ومجالس الشراب ووصف الطبيعة تصحبه مجالس الطرب والغناء أما الأزجال التي اختصت بغرض واحد لا تتجاوز فقليلة[1].

فمن الأزجال التي بينت على الغزل وحده : وجل لابن قزمان يقول فيه

هجرت حبيبي أنا ليس لي بعد صب

ليس حبيبي إلا ودود قطع لي قميص من حدود

وخاط بنقص العهود وحسب إلى السهر

كان كالبستان من شجون والإبر من سهام الجفون

وكان المقص المنون والخيط القضا والقدر

رأى قلبي هذا الحال مضى لحبيب وقال

عسى تم طوشير وصال وان كان لحد الدور[2]

اعتمد ابن قزمان على الغزل وحده في هذه الأزجال.

ب) الخصائص الفنية للزجل :

[1] http://forums-2dab.org/archire/index.php/t.2251.html24/06/2010

[2] عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ، ص402.

إن القصيدة الزجلية من حيث المضمون لا تبتعد كثيرا عن القصيدة المعربة من حيث تناولها للموضوعات، وقد ابرع الشاعر الزجال في شتى الأعراض قد استوح قصائده من الفكر والعاطفة مجردان عن المؤثرات المصطنعة ويشتد ها بصوته الشجي على سامعيه، القوة الخفية التي تدفعه من الداخل إلى إخراج ما يجيش في نفسه إلى معالم الوجوه : ذكر لمجالس الأنس، عتاب للأيام الغابرة ذكر الحبيبة والتغزل فيها، والتأثر بالطبيعة وغيرها من المواضيع التي تبحثها الشعرية الفطرية[1].

القصيدة الزجلية تتفق مع القصيدة المعربة في التزام الوزن الواحد والقافية الواحدة والمطلع المصرع، وتختلف عنها في ببساطة اللغة وعفويتها حتى تبلغ درجة السذاجة أحيانا في بعدها عن الإعراب ووقوع اللحن فيها.

يتفق الزجل من حيث الشكل والتقسيمات الفنية مع الموشحات في المطالع والأغصان والأسماط والأقفال والأدوار والخارجات .

وتكمن قيمة الزجل الحقيقة في صدق تعبيره عن واقع حياة الناس ومشاغلهم الاجتماعية والسياسية والثقافية في بلاد الأندلس.

إذن فالقصائد الزجلية هي أول صورة ظهرت لحنا الفن المستحدث لا تختلف عن القصائد المعربة إلا في اللحن والإعراب واللغة [2].

المطلب 2) التجديد من حيث المضمون:

[1] الفسطاط، المجلة التاريخية العدد 8.45.عضت2001.
[2] عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ، ص410.

تعددت أعراض الشعر الأندلسي وتباينت شانها شان الشعر عند المشارق فنظموا في الأعراض الأصلية ، إلا أن عرضي الغزل ووصف الطبيعة كانا السائدين فيها، ولا غرو في ذلك إذا كانت الأندلس فلقة من الجنة جعلها الله لهم سحريا. فبهرت العقول والألباب بجمالها الفتان، وحرك نسيمها قلوب أهلها فاسكن في الهوى فلطفت صباغهم وحسنت أمزجتهم ورقت أخلاقهم ورقة الهواء العليل البلبل الذي ينعش فؤاد الولهان الهيمان السامع، فينبعث غزل ووصف متلاشى الحدود فيصفون الحذو بالورد والقدو بالغصن البان المياء المترنم مع مداعبة الرياح الدقيقة، والوجه بالبدر والشعر بالليل أما الألفاظ فعذبة صافية براقة، رقراقة لا غرابة ولا غموض، مألوفة في الأذان خفيفة على اللسان، يلوكها الولدان وذوو الأسنان، أما معانيهم فواضحة بينة في غالبها لا تحتاج إلى إنعام فكر أو إمعان نظرا كقولهم :

ضاحك عن جمانْ ..... سافر عن بدر

ضاق عنه الزمان ..... وحواه صدري

أما الصورة الشعرية أو الخيال فتتباين من شاعر إلى آخر إلا أن الفئة الغالبة لم تأتي بالصورة الغربية، وكيف لها ذلك والهدف منها إمتاع السامع في المجالس الطرب واللهو والغناء، أو تسريح النفس في مجالس العلم لدى الشيوخ الفضلاء مثل قول يوسف بن هارون :

قد وضع الكف على خدّه..... مفكرا من غير أشجان

كأنما يستر عن ناظري..... بنانه وردا بسوْسان

كأنما أطرافهُ فضّة..... صيغَ لها إظفار عقبانِ[1]

كما كانت موضوعات الشعر الأخر حاضرة في تلك الجزيرة وعليها مسحة البلاد فنجد المدح قد انتشر وخاصة في المجالس الخلفاء الذين مكنوا للشعراء والتفتوا إليهم ورفعوا من قدرهم وحضوهم على الإقبال بالأعيان والصلات والهدايا والهبات فاندفعت على أبوابهم جموعهم من كل حدب وصوب، كما كان الهجاء تقترب إلى العتاب.

والتعريض منه إلى الإقناع والتشنيع.

ونشير إلى أن ابن بسام في كتابه الضخم الذخيرة لا ينكر هذا الفن إلا في العبارات متناثرة وقد نص مؤلفه على انه لن يتعرض لها في كتابه لان أوزانها خارجة عن غرض الديوان، إذا أكثرها على غير أعريض شعر " العرب" كما لا يشير الفتح بن خاقان صاحب قلائد العقيان ومطمح الأنفس للموشحات أبدّا، كذلك **عبد الواحد المراكشي** في كتابه " المعجب" فإنه يعتذر عن عدم ذكر الموشحات لأن العادة لم تجر بإيرادها في الكتب المخلدة ، هذا الذي يعزز رأينا في إن الموشحات كلمات أغان وحسن[2].

المطلب 3) التجديد من حيث الوظيفة

لقد طغت وظيفة الشعر الفردية في عصر سيادة قرطبة على وظيفته الجماعية في أوقات استقرار أحوال الناس وهدوء بالهم لاطمئنان أركان البلاد وفشوا الأمن والدعة، مما جعلهم يلتفتون إلى حياتهم الضيقة، فطفقوا يتغزلون

---

[1] نقلا عن الموقع الإلكتروني: http://www.djelefa.info/Vb/# .

[2] نقلا عن الموقع الإلكتروني: http://www.djelefa.info/Vb/# .

ويمدحون ويرثون ويبهجون لأسباب فردية وأعراض شخصية فكشف الشعر من أحلامهم ورغباتهم وطموحاتهم وآلامهم وإشجانهم وفرحوا وأغور نفسيتهم ودهاليز احاسيسيهم فتجد شعرهم قطع جمر حامية، أو دموع عين باكية، أوراق غصن خضراء أو دل فتاة شقراء، نغمة عود رخيم أو بسمة صبح وسيم. وهذا لا يعني إن وظيفة جماعية خبث وهمدت إذ نجد بعض شعراء عبروا عن أرائهم تجاه الحكم الجائر أحيانا، هذا الذي يدخل ضمن الشعر السياسي كذلك مدحهم للقواد والفرسان أصحاب الثغور والمعارك من يصدون غارات الصلبين من حين إلى حين كذلك كان للشعراء في عصر الملوك الطوائف يقربون الشعراء ويدنونهم ويغرونهم طمعا في ان يرضى الشعب بواسطتهم عنهم وقلبوهم ملوكا عليهم وحكاما[1].

3) مميزات وخصائص الشعر الأندلسي :

مميزات الشعر الأندلسي في ألفاظه وأساليبه فإننا نرى فيه سهولة في الألفاظ وسلاسة في التراكيب ، ويرجع ذلك إلى أن الشعراء لم يحلموا الألفاظ ما لا تطيق من المعاني المزدحمة، فالسر في هذه السلاسة والعذوبة، سهولة طباعهم ولين أخلاقهم وإرسالهم القول من غير تكلف ولا تضع فجاء أكثرهم جاريا مع الطبع، ولم يبالغوا في الأخذ بفنون البديع من تورية وجناس وطباق وغيرها وما كان يقع لهم منه في عبارتهم جميل مقبول، لأنهم كانوا يأخذون من الأنواع البديعية ما تجور فيه القريحة من غير تعمل ولا إجهاد خاطر.

أما مميزات في معانيه : فإننا نجد معاني الشعر الأندلسي واضحة جلبه بعيدة عن التعمق الفلاسفة وتدقيق الحكماء لقلة المشتغلين منهم بالحكمة، وبغض العلامة لها

[1] نقلا عن الموقع الإلكتروني: http://www.djelefa.info/Vb/# .

وغلب على الشعر الأندلسي الخيال البديع الذي نشأ فيهم من ضروب الجمال المنتشرة في شبه الجزيرة وساعدهم ذلك على أن يجودوا التشبيه، ويكثروا من استعمال المجاز والكناية في شعرهم[1].

أما خصائص فتمثلت فيما يلي:

1)تأثر اشعر الأندلسي بالشعر الإسلامي وخصوصا العصّر العباسي حتى إن شعراء الأندلس قد لقبوا باسم شعراء المشرق.

2) عبر شعراء الأندلس عن ذاتيه صاحبه وارتبط ارتباطا كبيرا بالواقع وهذا بسب تأثير البيئة في الأندلس على أشعارهم.

3) اتسم الشعر الأندلسي بالبساطة في التعبير وقدرته على استخدام التصورات والأخيلة الجملية والواضحة.

4) بسبب انتشار الغناء في المجالس الأندلسية، فقد اتسم الشعر بإيقاع الموسيقى الواضح الذي نراه في ألفاظهم وتركبيهم.

5) التناغم في الحروف التي بآخر الأبيات ورقة الألفاظ وسهولة التعبير والتراكيب، كان من أهم ما

اتسم به الشعر الأندلسي.

6) اهتموا كثيرا بشعر الغزل وتميزت عاطفتهم بالصدق خصوصا في إظهار الشوق إلى الحبيب.

[1] محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ، ص309.

7) أثرت الطبيعة في أشعارهم إلى حد كبير، واتسم شعر الطبيعة عندهم بنظام مقطوعات لا نظام القصيدة .

8) كان أهم أعراض الشعر الأندلسي هو المدح حيث مدح الشعراء الملوك بصورة كبيرة، كما احتل الغزل مكانة كبيرة في الشعر الأندلسي والذي ارتبط بالطبيعة بوصف الحبيب، وهم كذلك اشتهروا برثاء خصوصا في الفترة التي سقطت فيها الأندلس[1].

[1] نقلا عن الموقع الإلكتروني:
http://www.almrsal.com

الفصل الثاني

المبحث الأول: شعر الطبيعة ودورها الفعال في موضوعات الشعر

المطلب الأول:شعر الطبيعة

فتن شعراء الأندلس بطبيعة بلادهم، فتوفروا على وصفها، وأكثروا من التغني بمناظرها الجميلة، وعبروا عن كلفهم بها في لوحات شعرية بديعة وتفننوا في هذا المجال تفننا واسعا حتى صار وصفهم للطبيعة من أهم الموضوعات التي طرقوها وأحرزو وصف السبق فيما أعلم المشارقة، وقد أشار االحجازي إلى براعة الأندلسيين وتفوقهم في وصف الطبيعة فقال: وعم—يعني الأندلسيين- أشعر الناس فيما كاره الله تعالى في بلادهم، وجملة نصب أعينهم من الأشجار والأنهار والأطيار والكؤوس لا ينازعهم أحد في هذا الشأن.

ويعكس شعر الطبيعة في هذا العصر شدة ارتباط الأندلسيين بيئتهم وتعلقهم بمظاهر الجمال في بلادهم، فالشاعر لا يفنأ يتعنى بحب الأندلسيين ويفيض في وصف محاسنها، ويعبر عن النصافة بها ويفضلها عن سائر البلدان، وكان هذا الإتجاه إلى عشق الطبيعة والإلتصاق بالبيئة الأندلسية إنعكاسا للشعور الوطني في نفوس الأندلسيين وتعبيرا عن نزعة أندلسية قوية تأصلت في نفوس الشعراء وظهرت في شعر عم بشكل واضح. ويعبر إبن سفر عن هذا الإتجاه في قوله[1]:

في أرض الأندلس تلتذ نعماء ولا يفارق فيها القلب سراء

وليس في غيرها بالعيش منتفع ولا قوم بحق الأنس صهباء

[1] فوزي سعد عيسى-في الأدب الأندلسي-، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ، الصفحة 5-

أنهارها فضة، والمسلك ترتبها والخز روضتها والدر حصباء

قد ميزت من جهات الأرض حيث بدت فريدة وتولى ميزها المـــــــاء

دارت عليها نطاقا أبحر خففت وجدابها إذا تبدت وهي حسناء

لذلك يسم فيها الزهر من طرب والطير تشدو ولأغصان إصغاء

فيها خلعت عذارى مابها عوض فهي الرياض وكل الأرض صحراء[1]

وهذه الأبيات توضح شدة إعجاب الشاعر الفتنة في بلاده، فهي مدار لأنس والتنغم، وليس في سواها منتفع بالعيش، ويفيض الشاعر في وصف محاسنها جميع فأنهارها كالفضة وترابها كالمسك، وحصباؤها كالدر، وقد تفردت فأحاطتها من جميع جهاتها واستحالت إلى حديقة غناء تبتسم أزهارها طربا، وتشدو أطيارها فتصغى لها الأغصان ويحق للشاعر أن يئبه عجبا ببلاده، فليس هناك أرض تعدلها ولا وطن يضاهيها فهي الرياض، وكل الأرض صحراء، ولا ينسى الشاعر أن يخلع الصفات الإنسانية على الأشياء فيخبل البحر والزهر والطير والأرض والأغصان إلى كائنات حية تحس وتشعر بها حولها، فبعضها يذوب وجداً، وبعضها يسبم طربا، والططيور تشدو والأغصان تصغى، وتستحيل الأجزاء كلها إلى كائنات تنبض بالحركة والمشاعر.

وقد انعكست فتنة الشعراء بالطبيعة فيما نظموه من شعر، فقد ربطوا الطبيعة بكل موضوع، وجعلوها متكأ ومفترشا للموضوعات الأخرى، فإذا تغزل الشاعر جعل الطبيعة إطار لغزله، وإذا

[1] فوزي سعد عيسى، المرجع السابق، الصفحة 5-

وصف الراخ اتكأ على الطبيعة وافاض في وصف محاسنها حتى كاد أن ينسى موضوعه الأصلي وإذا حن إلا بلاده تذكر طبيعتها الجميلة، وإذا مدح أخذت صور الطبيعة تنبت في أبياته.

ولم يقف دور الطبيعة عند مجرد المشاركة الفعالة في موضوعات الشعر أو القيام بدور بارز في بناء القصيدة بل جد الشعراء يعبرون عن فتنتهم بالطبيعة في قصائد مستقلة بذاتها، يصفون فيها الطبيعة وصفا خالصا، فتهيأ لهم بذلك أن يصوروا الطبيعة بما فيها من مواطن الجمال والفتنة، وأن يقفوا عند كل جزئية من جزئياتها، فوصفوا الرياض والأزهار والمنتزهات والفوارات والأنهار وغيرها من مظاهر الطبيعة ولم يتركوا منظرا من مناظر طبيعتهم الساحرة إلا وصفوه وتغنوا به في أشعارهم.

المطلب الثاني: ابن خفاجة – حياته وفنونه الشعرية.

هو ابراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله، لقبه ابن خفاجة الأندلسي، كنيته أبو إسحاق، قال عنه صديقه ومعاصره الفتح بن خاقان صاحب القلائد :" مالك أعنة المحاسن وناهج طريقها، العارف بترصيعها وتنميقها، الناظم لعقودها، الراقم لبرودها، المجيد لإرهافها، العالم بجلائها وزقاقها، تصرف في فنون الإبداع كيف شاء، وأبلغ دلوه من الإجادة الرشاء، فشعشع القول وروّقه، ومدّ في ميدان الإعجاز طلقه، فجاء نظامه أرق من النسيم العليل، وأنق من الروض البليل، يكاد يمتزج بالروح وترتاح إليه النفس كالغصن المروح"[1]. وينقل ابن بسام في ذخيرته ذلك الحديث الذي ورد في القلائد ويصدره بقوله:" الناظم المطبوع، الذي شهد بتقديمه الجميع، المتصرف بين حكمه وتحكمه البديع...." ثم يتحدث ابن بسام عن ما يصله منه من شعر فيقول:" ويبلغني من شعره ما يبطل السحر، ويعطل

[1] – سالم عبد الرزاق سليمان، ترسل الشعراء في الأندلس، دار المعرف الجامعية، كلية التربية، جامعة الإسكندرية، ص 107-108.

الزهر، وقد أثبت بعض ما وقع إلى من كلامه، فتصفحه تعلم أنع بحر النظام، وبيقة الأعلام" وقال عنه ابن الأبار:" كا عالماً بالآداب، صدرا في البلغاء، متقدما في الكتاب والشعراء، يتصرف كيف يريد فيبدع ويجيد ناظما وناثرا ومادحاً وراثياً ومشببا ومشبهاً، وكان نزيه النفس لا يكتسب بالشعر ولا يمدح رجاء الرفد"[1].

ولد ابن خفاجة سنة 450هـ، وكان مولده في مدينة صغيرة غنية رائعة المناظر، وهي هي جزيرة شقر، ذكرها ياقوت الحموى في معجمه وقال عنها:" جزيرة في شرقي الأندلس وهي أنزه بلاد الله وأكثرها روضة وشجرا وماء:" وذكرها الإدريس وقال وصفها:" وجزيرة شقر حسنة البقاع، كثيرة الأشجار والأنهار، وبها ناس وجلة وهي على قارعة الطريق الشارع إلى مرسية".

كانت هذه الجزيرة الرائعة المناظر، المتميزة بهذه الطبيعة الساحرة مسقط رأس ابن خفاجة الذي ولد في أحضان هذه الطبيعة الفاتنة، فكانت هذه الطبيعة أولى العوامل الفعالة والمؤثرة في أدبه والذي ساعد على أن يكون للطبيعة تأثيرها القوي والواضح في أدب ابن خفاجة، أنه أنشأ في أسرة تمتلك نصيبا من الثراء، توافر له معه أن لا يمتهن أي مهنة، ولا يهتم سوى بالأدب واللهو والتمتع الكامل بما حوله من طبيعة فاتنة، ومجالس لهو ساحرة، ومجالس أدب مثمرة، وابن خفاجة نفسه يخبرنا عن ذلك فيقول في الخطبة الموجودة في مقدمة ديوانه: " فعطفت هنالك على نظم القوافي عناني وسننتها عند ذلك حللا على معاطف سلطاني، مصطنعا، لا منتجعا، ومستميلا، لا مستنيلا، اكتفاء

[1] – سالم عبد الرزاق سليمان، المرجع السابق، ص 107-108.

بماضي يدي من عطايا منان، وعوارف جواد وهاب، خلق فأبدع، ورزق فتبرع، ثم أتبع الطول طولا فوهب سائله، وتقبل وسائله".

اجتمع لابن خفاجة منذ مولده عاملان مهمان ومؤثران بصورة واضحة في أدبه هما: تلك الطبيعة الساحرة التي تتميز بها الأندلس عموما وجزيرة شقر حيث ولد بصفة خاصة، وهذا الثراء الذي أثنى له نشأة اجتماعية وثقافية تعينه في أدبه، بل وتجعله لا يفكر في مدح الغير لإستجداء، أو التنقل من ملك إلى ملك للرجاء، بل هو حين يمدح يمدح لأنه يشعر بهذا ولا إجبار عليه فيه، ومن هنا كانت نشأته في هذه الأسرة التي تتمتع بسعة ورخاء والتي وفرت له أن ينشأ نشأة ثقافية ملائمة لمكانته ومواهبه، وحسب طرق التعليم التي كانت سائدة في بلاد الأندلس حينذاك، فإن ابن خفاجة قد بادأ بدراسة النحو واللغة والأدب ثم درس العلوم الفقهية على يد شيوخ له وأساتذة لهم أسماؤهم ومنهم ابن أبي تليد الذي نشأ بمدينة شاطبة وهي مدينة مجاورة لجزيرة شقر وكان لهذا الأستاذ أثر كبير على ابن خفاجة وتكوينه الأدبي، وهناك فقيه آخر هو أبو بكر ابن الأسود، وكان هناك أيضا أستاذ ثالث له تأثير كبير في تكوينه الأدبي وهو الأستاذ ابن صواب، وقد مدحه في رسالته التي بعث بها إليه، والتي تدل بلا جدال على هذه المودة والصلة الوثيقة التي كانت تربط بينهما، وجاء فيها[1]:

" ما أقدر الله أن يدنى على شحط من داره الحزن ممن داره صول

أطال الله بقاءك، ويسير لقاءك، وحمى أرجاءك، ودركك أملك ورجاءك.

[1] – سالم عبد الرزاق سليمان، المرجع السابق، ص 107-108.

كتبته عن شوق لوخامر الحجر لا نفجر، أو باشر الجلمود لفارق الجمود، ما عضضت منه متعللا بحديث، أو أمل حديث، إلا تزيد، وتأكد. فقد باض على الدهر وفرح، وتمكنت قواعده فرسخ، فما هو يغبو الشنان، وهو حديد، ويبلى الزمان وهو جديد"[1].

زمن الشاعر:

في بلاد الأندلس نشأ ونما ابن خفاجة، والأندلس اسم أطلقه العرب على البلاد التي افتتحوها في شبه جزيرة ايبيرية، وثم ذلك الفتح في أوائل القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، على يد موسى بن نصير، وإلى المغرب وطارق بن زياد.

وتعاقب على الحكم في تلك البلاد سلالات مختلفة منها الأمويون (755/138-1030/422) وملوك الطوائف (1012/403-1141/563) وبنو الأحمر (1231/629-1492/897) وانتهى الحكم العربي في الأندلس بسقوط غرناطة قاعدة بني الأحمر في حوزة فردينان الثاني سنة 1492/197.

وكانت الأندلس من أنظر البقاع الإسلامية، والحياة الإقتصادية فيها مزدهرة، وكانت حياتها الإجتماعية مزيجا من حياة الأندلسيين الأصليين وحياة المشرقيين، يشيع فيها الترف واللهو والغناء[2].

[1] – سالم عبد الرزاق سليمان، المرجع السابق، ص 109-110.

[2] – حسن محمد نور الدين، الأستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية، ابن خفاجة، شاعر شرق الأندلس 45-533هـ، ص 07-08.

وكان هم العرب في بلاد الأندلس أن يضاهوا العباسيين في الشرق، وأن ينافسوهم في شيء مناحي الحياة، فحفلت البلاد بمعاهد العلم، وكانت العواصم الكبرى من مثل قرطبة واشبيلية وغرناطة وطليطلة مراكز الإشعاع العقلي تعج بالكتاب الشعراء.

في مرحلة ملوك الطوائف أو في قسم منها وهو آخر العصور العباسية الذي بدأ بدخول السلاجفة بغداد وينتهي بدخول بغداد في حوزة المغول سنة 1258/656 على يد هولاكو المغولي وانتقال الخلافة العباسية إلى مصر. وتحديدا في أيام دولة المرابطية عاش ابن خفاجة.

ثقافة الشاعر ابن خفاجة:

اعتمدت ثقافة ابن خفاجة في مراحل تكوينية الأولى علم العلوم الفقهية. بل إن ابن الأبار ليأسف على ابن خفاجة كان قد تميز في هذه العلوم الفقهية، وتفوق فيها ثم أعرض عنها، وهو يرى أن ابن خفاجة لوكان قد اعتنى بها لارتقى أعلى درجة في مشاهير الفقهاء.

وأول قضية تناولها في خطبة الديوان بعد ديباجة التحميد والصلاة والتسليم على الرسول الله عليه والصلاة والسلام، تتعلق بمكونات الشاعر وثقافته.

فقد ألهم قول الشعر في سن مبكرة " والشباب يرف غضارة ويخف بي غرارة وعملية الإبداع لا تقترن بسن معينة للإنسان، ولكن توزيعها يكون مركزا في سن مبكرة نسبياً، كما تشير إلى ذلك الدراسات الحديثة[1].

[1] – منجد مصطفى بهجت، ابن خفاجة الأندلسي والنقد الأدبي، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، ص 69.

ويصارحنا بأسماء الشعراء الذين تصفح أشعارهم وحذا حذوهم وأخذ مأخذهم، الرضي ومعيار الدليمي وعبد المحسن الصوري، فتملكه من محاسن أشعارهم الرائعة، وألفاظهم الشائقة ما ينسجم مع برد الشباب فمال إليهم ميلا شديدا وصار يروم التشبه بهم، فهل عني حقا ما يقول؟ وإلى أي مدى استحوذ هذا الإعجاب على الشاعر؟ لقد تمكن هؤلاء الثلاثة من الشاعر تمكنا كبيرا بعد أن نالوا نصيبا من إعجابه ونجد في الديوان أشارت واضحة إلى ذلك فتتابع الصوري متشبها به محتذيا طريقته في تسع مقطعات وقصائد، وأشار إلى متابعته الشريف الرضي في قطعة واحدة، ومعيار الديلمي في قصيدتين كذلك صرح في موضوع تال باحتذائه المتنبي، في لف الغزل بالحماسة في أربع مقطعات وراق له في موضع آخر النظر إلى بيت المتنبي فاحتذاه معارضاً، ونلاحظه يسلك مسلك ابن الرومي في موضوع ذم الورد، في مقطعة من بيتين، وهو في ذلك مواكب لأثر أبيات ابن الرومي التي تركت صدى بعيدا لدى شعراء الأندلس، وعكس هذا الصدى الحميري، في كتابه البديع ويصرح في أشعاره بأنه يتخذ كبار الشعراء، ومشهور الأدباء مثلا أعلى له فيقول في مقام الثناء على الشعر القاضي ابن اسحاق بن ميمون:

بما حزته من شريف النظام وأرهفته من حواشي الكلام

فعج " تتصفح" بديع البديع وتلمح سلامة شعر السلامي[1]

مشيرا إلى بديع الزمان الهمداني (ت 398هـ) صاحب المقامات، ومحمد بن عبد الله السلامي (ت 393هـ).

[1] – المرجع السابق، ص 70.

وفي موضع آخر يخاطب أحد أصدقائه في رؤية ملتزماً ما لا يلزم مستهلا أبياته بقوله:

برعت فرعت فمن ذاجيب له الويل أم من أبو الطيب؟

وبغداد موطن كبار الشعراء، ولذلك فكأن قصيدته صادرة عنها لا شقر موطنه:

نشأت وشقر دارها وكأنما وردتك زائرة من الزوراء

ويرى الدكتور إحسان عباس أن ابن خفاجة انفرد في تأثره بالصوري في بناء القصيدة على الجناس الناقص، وإنه أول شاعر أندلسي يقتضي خطوات الرضي والديملي في الإشارات إلى الأماكن النجدية والحجازية وأول من أدرك منهم طريقة المتنبي في لف الغزل بالحماسة.

ولم يقتصر ثقافة الشاعر الشعرية على هؤلاء النفر الثلاثة، إذا نجد في ثنايا الديوان والرسائل مضمنات لأشعار عدد من شعراء العرب، أمثال قيس بن الخظيم، ومجنون ليلى، وابن الدمينة، وأبي تمام، وأبي نواس، والفرزدق وآخرين. وله معارضات لعدد من الشعراء منهم ابن صارة الأندلسي، وابن الصائغ، وابن رشيق[1].

[1] – المرجع السابق، ص 70.

المبحث الثاني: مصادر الصورة في الشعر عند ابن خفاجة

المطلب الأول: شعر الطبيعة عند ابن الخفاجة

وهب الله الأندلس طبيعة ساحرة ووافرة الجمال، بجبالها الخضراء وسهولها الجميلة وتغريد طيورها على أفنان الأشجار، حباها الله بسحر خلب عقول الشعراء ووجدانهم فجعلها معبودتهم المقدسة، لا أحد يمكنه أن يشك في رونقها وصفاء جوها وكثرة مياهها التي جعلت منها جنة حقيقية تمنى الكثيرون دخولها ولو لبرهة من الزمن. فكل هذا له أثره في جمال الأندلس التي شغفت بها القلوب وهامت بها النفوس.

لقد منح الله الأندلس طبيعة فاتنة، فكانت أغنى بقاع المسلمين منظرا وأوفرها جمالا، ترتفع فيها الجبال الخضراء وتمتد في بطاحها السهول الواسعة وتجري فيها الجداول والأنهار وتغرد على أفنان الأشجار العنادل والأطيار..... وقد تحدث عن جمالها كل من حل بها".

وقد عاش سكانها وسط هذه الحقول والسهول التي كانت تزركشها الخضرة والحمرة والصفرة وسائر ألوان الأزهار والأنوار، فعاشوا في ظلال هذه الطبيعة الرائعة الخلابة التي عبرت فيها الأرض عن نفسها أجمل تعبير بما أطلعته على سطحها ونثرته في شتى أرجائها من طيب التربة وخصب الجنان، ومن الأنهار الغزار والعيون العذاب، ومن البر والبحر والسهل والوعر، ومن الحقول والبساتين والحدائق والرياحين، ومن الإعتدال الغالب فيها على الهواء والجو والنسيم وعلى الربيع والخريف والمشتى والمصيف، ومن المدن الحصينة والقلاع المنيعة والمصانع الجليلة واستبحار التمدن والعمران[1].

[1] – جودة الركابي، الطبيعة في الشعر الأندلسي، مكتبة الأطلس، دمشق، 1970، ص 22.

فكل هذه المحاسن التي حبت الطبيعة بها بلاء الأندلس هي المرجع أو المصدر الأول الذي استلهم من الشعراء الأندلسيين واستمدوا منه الفيض الزاخر من أغاني الطبيعة التي نظموها تمجيداً لجمال طبيعة بلادهم وهذه المحاسن هي التي جعلت ابن خفاجة شاعر الطبيعة الأكبر يهتف بجمالها قائلاً:

يا أهل الأندلس لله دركم ماء وظل وأنهار وأشجار

ما جنة الخلد إلا في دياركم ولو تخيرت هذا كنت أختار

لا تختشوا بعد ذا أن تدخلوا سقرا فليس تدخل بعد الجنة النار[1]

فابن خفاجة فتن بوطنه الأندلس وبلدته بلنسية وجزيرته شقر[2].

تعلق ابن خفاجة بطبيعة بلاده تعلقا واضحاً وكان يدرك شدة إلحاحه على الطبيعة واستغلاله لها في شعره، وكان هو نفسه حائراً في تفسير هذه النزعة المتمكنة، فهو يقول عن نفسه مستعملا ضمير الغائب، " إكثار هذا الرجل في شعره من وصف زهرة ونعت شجرة وجرية ماء ورنة الطائر ما هو إلا لأنه كان جائحاً غلى هذه الموصوفات بطبيعة فطر عليها وجبلة، وإما لأن جزيرة كانت داره ومنشأة وقراره..... حتى غلب عليه حب ذلك الأمر، فصار قوله عن كلف لا تكلف مع اقتناع قام مقام اتساع، فأغناه عن تبدل وانتجاع"[3].

[1] – مصطفى الصادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، ط2، ج3، بيروت، 1974، ص 269.

[2] – أحمد هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، ط7، 1979، ص51.

[3] – ينظر ابراهيم، أمين الزرزموني، الصورة الفنية في شعر على الجارم، دار قباء، القاهرة، ، ص 200 – 224

وهو بهذا يرجع سبب ولوعه بطبيعة بلاده إلى أمرين، إما لأنه فطر على تلك الطبيعة وجبل عليها وإما لأن داره ومقامه كان بتلك الجزيرة الجميلة فتأثر بجمالها وسحر به حتى صار يقول فيها شعرا عن كلف لا تكلف، فالطبيعة عنده هي كل شيء وهذا طبيعي، فلطالما كانت الطبيعة" الأم الرؤوم والمعلم الأول للإنسان، نشأ في كنفها تمده بخيراتها وتوفر له سبيل العيش ويتلقى عنها في كل آونة درسا في المحافظة عن حياته، وهي تكشف له في كل وقت عن من أسرارها[1].

الموروث الشعري:

الشعر الأندلسي:

يعد ابن خفاجة أشهر الشعراء الأندلس في وصف الطبيعة، فشعره يفيض بالمزايا التي تجعله في مقدمة الشعراء العرب القدامى في هذا الصدد، فقد أكثر من وصف الطبيعة الأندلسية التي فتن بجمالها طوال حياته ووصل بينها وبين معظم أغراض الشعر الأخرى، لكن هذا لا يعني أنها تشكل المصدر الوحيد الذي استقى منه صوره، فابن خفاجة شاعر انكب على الشعر العربي قديمه ومحدثه انكبابا شديدا، فقد كان مطلعا على كل ما سبقه من موروث شعري أندلسي الذي يعتبر منبعاً آخر استفاد منه شاعرنا من حيث الأخيلة والصور وطريقة التناول.

استطاع ابن خفاجة في عدد كبير من قصائده أن يجعل من عينه الباصرة لمظاهر الطبيعة عينا شعرية بصيرة تحرف المظهر الخارجي عن معانيه الواضحة المألوفة إلى معان إنسانية عميقة، عبر تبادل

[1] – إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر الطوائف والمرابطين، ص 207.

الرؤى والمشاعر والحالة النفسية الواحدة بينه وبين الظاهرة الطبيعية في دينامية حدسية قائمة على تشوف الدلالات البعيدة، وقصيدة الجبل نموذج رفيع لمثل هذا النوع من القصائد التي توسلت إلى الطبيعة لا لتصفها بل لتوظفها في تعبير فني عن حالة نفسية إنسانية[1].

ويضع ابن خفاجة في قصائده هذه ذاته محورا تدور حولها الأحداث والشخصيات التي يستقيها من الطبيعة، وبهذا يخلق جوا يكون مجالا له للتصوير والتعبير عما يجول بخاطره وما يعتمل في نفسه، إذ تتجلى بعض المظاهر الدراسية من خلال قصائده، سيتطرق البحث إلى أهم العناصر المكونة للبناء الدرامي من خلال قصائده.

سيتطرق البحث إلى أهم هذه العناصر المكونة للبناء الدرامي من خلال قصيدة (الجبل) لابن خفاجة[2].

[1] – صلاح فضل، قراءة الصورة وصور القراءة، دار المشرق، القاهرة، ط1، 1997، ص 127.

[2] – سناء حميد البياتي، نحو منهج جديد في البلاغة والنقد، دراسة تطبيق، ص 253.

المطلب الثاني: نموذج – تحليل قصيدة لابن خفاجة في وصف الطبيعة

قصيدة الجبل:

بعيشك هل تدري أعوج الجنائب تخب برحلي أم ظهور النجائب

فما لحت في أولى المشارق كوكبا فأشرقت حتى جئت أخرى المغارب

وحيدا تهاداني الفيافي فاجتلي وجوه المنايا في قناع الغياهب

ولا جار إلا من حسام مصمم ولا دار إلا في قتود الركائب

ولا أنس إلا أن أضاحك ساعة ثغور الأماني في وجوه المطالب

وليل إذا ما قلت قد باد فانقض تكشف عن وعد من الظن كاذب

سحبت الدياجي فيه سود ذوائب لأعتنق الآمال بيض ترائب

فمزقت جيب الليل عن شخص أطلس تطلع وضاح المضاحك قاطب

رأيت به قطعا من الفجر أغبشا تأمل عن نجم توقد ثاقب

وأر عن طماح الذؤابة باذخ يطاول أعنان السماء بغارب

يسد مهب الريح عن كل وجهة ويزحم ليلا شهبه بالمناكب[1]

[1] – المرجع السابق، ص 280.

وقور على ظهر الفلاة كأنه طوال الليالي مفكر في العواقب

يلوث عليه الغيم سود عمائم لها من وميض البرق حمر ذوائب

أضحت إليه وهو أخرس صامت فحدثني ليل السرى بالعجائب

وقال: ألا كم كنت ملجأ قائل وموطن أواه تبتل تائب

وكم مربي من مدلج ومؤوب وقال بظلي من مطي وراكب

ولاطم من تكب الرياح معاطفي وزاحم من خضر البحار غواربي

فما كان إلا أن طوتهم يد الردى وطارت بهم ريح النوى والنوائب

فما خفق أبكي غير رجفة أضلع ولا نوح ورقي غير صرخة نادب

وما غيض السلوان دمعي وإنما نزفت دموعي في فراق الصواحب

فحتى متى أبقى ويظعن صاحب أودع منه راحلا غير آيب

وحتى متى أرعى الكواكب ساهرا فمن طالع أخرى الليالي وغارب

فرحماك يا مولاي دعوة ضارع يمد غلى نعماك راحة راغب

فأسمعني من وعظة كل عبرة يترجمها عنه لسان التجارب[1]

[1] – المرجع السابق، ص 280.

فسلى بما أبكى وسري بما شبحا وكان على عهد السرى خير صاحب

وقلت وقد نكبت عنه لطية سلام فإنه من مقيم وذاهب[1]

تحليل القصيدة: الفكرة

قصيدة الجبل قصيدة متميزة قل مثيلها في الشعر العربي، تدور فكرتها عن مغزى سامي يتمثل في البحث عن إجابة مقنعة لسؤال الحياة، سؤال قلق الإنسان وحيرته وإحساسه بالغربة الروحية وبعدم جدوى العيش ومكابدة طبائع الزمن الوجودي الخادعن لكأن ابن خفاجة فيلسوف وجودي دفعته تجاربه الحياتية الطويلة وتأملاته العميقة بأسرار الوجود إلى تشخيص صراعه النفسي شعرا، محاولا استشراف طمأنينة ما، من جدلية الحياة والموت[2].

فقد اختار ابن خفاجة الجبل ليكون معادلا دلاليا لشخصه ولنفسه، من هنا يبدأ الصراع النفسي عند الشاعر فيلجأ إلى الجبل مسقطا فيه ذاته فيبعث فيه الحركة والحياة ويحاوره ويتحدث إليه فالجبل يمثل الشخصية الرئيسية أما الشخصيات الثانوية فتتمثل في من ذكرهم الجبل لاجئين ومارين ومن غمام ونجوم ليل[3].

[1] – المرجع السابق، ص 280.

[2] – ابن خفاجة، ديوان، ص 47-49.

[3] – شكري عبد الوهاب، النص المسرحي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ط2، 2001، ص 46-47.

الحبكة:

تكشف لنا القصيدة من بدايتها عن الحبكة التي تكشف عن ذات البطل وهي ذات قلقة مضطربة غير مستقرة تبدو في حالة ارتحال، وتظهر وهي غير متماسكة، وقد اختلطت الرؤية أمامها وفقدت القدرة على التحكم، فيبدأ ابن خفاجة قصيدته بالقسم الإستفهامي الموجه إليه أو إلى الإنسان عامة، فكان الخطاب في" بعيشك" مألوفة في الشعر العربي، إذ يجرد الشاعر من نفسه شخص آخر يخاطبه ويستعين به على الإجابة.

ويأتي البيت الثاني ليبرر مغزى طرح السؤال الذات من ناحية ويصور واقعها المتقلب من ناحية أخرى، حيث لا يقر لها قرار، فما إن تشرق وتغرب، وتنفتح الدوال فتسمح بالتأويل وتجاوز المعنى المباشر بحيث تمس مسألة وجود الإنسان ذاته، وتجسد ثنائية الميلاد والموت أو الظهور والأفول، فما إن يسطع نجم الإنسان ويظن أنه اقترب من أحلامه الكبرى حتى يخبو ويتوقف كل شيء أمام سطوة الموت الذي يترصده ويهدد وجوده، ويقضي على طموحاته وهنا تكون المطابقة بين " المشارق" و" المغارب" مطابقة بين الميلاد والموت أو بين شروق الحياة وغروبها[1].

[1] – شكري عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 90.

الفعل والصراع الدرامي:

هو ما تقوم الشخصيات من أفعال موحية ويمثل أحد العناصر الأساسية في البناء الدرامي وجوهر الحياة هو الصراع لأنها مبنية على مجموعة من المتناقضات التي تخلق الصراع وتعمل على تطويره وباعتبار الدراما تقوم على مبدأ الفعل والموقف الدرامي فإن هذا الأخير هو الذي يكشف عن الصراع من خلال تطوره وفق حبكة المسرحية.

وقد يبدأ الصراع في قصيدة الجبل من البيت الثالث فبدأت تنكشف معاناة الشخصية البطلة في رحلة الحياة، فهي تبدو محاصرة بالوحدة تتقاذفها الفيافي وتلوح لها وجوه الموت في خضم الظلام وتضطلع أساليب النفي بدور واضح في تكريس واقع الوحدة والفراغ، فلا جار، ولا دار، ولا أنيس وإن كان في دالة (الحسام المصمم) ما يشير إلى شجاعة الذات وحرصها على مواجهة أخطار الموت والفناء[1].

كما تشير الصورة الإستعارية بما تتضمنه من تشخيص إلى طموح الذات وتطلعاتها وإن كان استخدام دالة الزمن (ساعة) يشير من ناحية أخرى إلى قناعة الذات بصعوبة خروج هذه الأماني إلى حيز التحقيق، وتأتي صورة الليل بدلالتها النفسية لتصنيف أبعادا أخرى إلى أزمة الذات ومعاناتها ليصل الصراع إلى ذروته.

وليل إذا ما قلت قد باد فانقض تكشف عن وعد من الظن كاذب

[1] – شكري عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 90.

سحبت الدياجي فيه سود ذوائب لأعتنق الآمال بيض ترائب

فمزقت جيب الليل عن شخص أطلس تطلع وضاح المضاحك قاطب

رأيت به قطعا من الفجر أغبشا تأمل عن نجم توقد ثاقب

الشخصيات:

يجمع أغلب النقاد على أن الشخصية هي التي تخلق العقدة أو الحبكة أو الموضوع وهي المقوم الذي يقوم عليه البناء الدرامي، فهي المحرك الأساسي للفعل والأداة الكاشفة عن الصراع والشخصيات هي التي تقوم بالفعل، فيجب أن يكون لكل شخصية سماتها المحددة لها.

وأرعن طماح الذؤابة باذخ يطاول أعنان السماء بغارب

يسد مهب الريح عن كل وجهة ويزحم ليلا شهبه بالمناكب

وقور على ظهر الفلاة كأنه طوال الليالي مفكر في العواقب

يلوث عليه الغيم سود عمائم لها من وميض البر قحم ذوائب

لقد أثار الجبل كوامن ابن خفاجة فرأى فيه صورة من ذاته فاتخذه صديقا يؤنس وحدته، ولم يكتف بذلك، بل بلغ عليه أحاسيسه وعواطفه وامتزج به امتزاجا تاما، فجعله الشخصية الرئيسية في قصيدته، فمنحه صفاته[1].

[1] – ارسطو، فن الشعر، ترجمة شكري عياد، دار الكتاب العربي لطباعة والنشر، القاهرة، 1967، ص 70.

يشف حديث الجبل الإنسان عن كثير من صور التناقض البشري ويقوم عنصر التضاد والمقابلة ليكشف هذا التناقض حيث يجتمع في رحابة الفتك الفاسق والعبد المتبثر ويمر به المدلج والمؤوب ويشروح بظله المطي والراكب، ولكن يد الردى طوتهم جميعاً وبقي هو وحيدا يندبهم ويبكيهم، وهذا يبدو التوحد بين الجبل والإنسان في أكمل صورة، وتتحقق المشاكلة بين الذات والموضوع فيتلاشى كلاهما في الآخر فابن خفاجة هو هذا الجبل الذي سئم الحياة ومل البقاء بعد أن رأى أصحابه ورفاقه يرحلون بلا عودة، وهو محاصر بالوحدة والظلام ينزف دموعه في فراق الأحباب، وهنا يطرح الجبل الإنسان سؤاله المصيري:

فحتى متى أبقى ويظعن صاحب أودع منه راحلا غير آيب

وحتى متى أرعى الكواكب ساهرا فمن طالع أخرى الليالي وغارب

فرحماك يا مولاي دعوة ضارع يمد إلى نعماك راحة راغب

فأسمعني من وعظة كل عبرة يترجمها عنه لسان التجارب[1]

وهذا الشعور بالضغط النفسي المتصاعد إزاء تلك الظروف الجاثمة بكللها على صدره توشك أن تخنق أنفاسه فلم يجد لنفسه مخرجا سوى الإلتجاء إلى الله ضارعا مستغيثا أن يمنحه رحمة من عنده " فرحماك يا مولاي دعوة ضارع" ولقد افتتح هذا البيت جملة من الدعاء المصدرة النائب عن فعله " رحماك يا مولاي" يوحي بشدة الإفتقار إلى الرحمة وإلحاقه بحرف النداء المخصص للبعيد يوحي بشدة

[1] - ابن خفاجة، ديوان، ص 47-49.

الإلحاح في الدعاء، ومما يزيد هذا الإلحاح قوة وتأكيدا إلحاق النداء أن يبرهن على استحقاقه لذلك الفيض الإلهي من الرحمة، حيث أضاف الرحمة إلى الله وأضاف نفسه إلى المولى، وكأنه يقول: أنت مالك الرحمة وأنا عبدك، فمن حق عبدك أن ينال من رحمتك وقد مد يده إليك ضارعا متذللا.

فأسمعني من وعظة كل عبرة يترجمها عنه لسان التجارب الخلقية والخلقية، فهو شيخ جليل حكيم ذو عمامة ضخمة لها علاقة بوميض البروق أي بالفكر الثاقب اللامع، وأفرغ عليه روحه وجعله يقوم مقامه، فانعكست عليه نفسيته القلقة التي دبت إلى الشيخوخة، حيث أغشت السنين البصر، وقوصت الظهر واستولى على صاحبها الملل والضجر والإكتئاب من الوحدة، فالجبل يمثل الشخصية الرئيسية، وأما الشخصيات فتتمثل فيمن ذكرهم الجبل من لاجئين ومارين، ومن غمام ونجوم وليل[1].

الحوار:

جلس الشاعر إلى هذا الجبل يستمع إلى حديثه الأخرس عن تجاربه وموقفه من الدنيا والناس وظروف الدهر وحقيقة الحياة والموت والمصير، ويتجسد هذا الحوار من خلال ثنائية الضمائر المتراوحة بين المتكلم الحاضر والمتحدث الغائب نحو " أضحت إليه، فحدثني، قال، لي، ترفت" فمن خلال ثنائية الحوار يتضح لنا أن النص يتجاذبه طرفان يشتركان في المعاناة الطرف الأول هي ذات الشاعر

[1] – أنيكست، تاريخ دراسة دراما، نظرية الدراما من هيجل إلى ماركس، ترجمة ضيف الله مراد، منشورات وزارة الثقافة، المعهد العالي للفنون المسرحية، دمشق، سوريا، 2000، ص 110.

الفاعلة المرسلة للخطاب، والطرف الثاني هو الذات المستقبلة المنفعلة وهي الذات الثنائية للشاعر التي يرمز لها الجبل.

وعلى الرغم من أن ابن خفاجة وصف الجبل بالصمت والخرس لكنه جعله يتكلم في الآن ذاته وعلق به ثلاثة أفعال تقيد الكلام والتبليغ (حدثني، وقال، أسمعني) ونقل كلامه في أسلوب مباشر بضمير المتكلم (كنت، مربي، يا مولاي) ثم ما لبث أن توحد هذا الحوار بتوحد ذات الشاعر مع ذات المتكلم الحاضر يروي قصته مع التاريخ نحو (كنت، مربي، ترفت دموعي) بحيث يصبح حديث الجبل هو حديث الذات أو صوتها الداخلي فبعد أن كان الحوار خارجي أصبح داخلي[1].

فسلى بما أبكى وسرى بما شجا وكان على عمد الشرى خير صاحب

وقلت وقد نكبت عنه لطية سلام فإنا من مقيم وذاهب

ويأتي هذا المقطع الأخير من القصيدة ليحسم الصراع بعد أن يصل الذروة حيث تحل العقدة وتكتمل الدراما فيصل الحدث إلى نهايته، إذ يعود الشاعر إلى حالة السكون والإستقرار الطبيعي بعد أن عرف حالة عدم الإستقرار نتيجة الضجر والقذف التي كان يعاني منها بفعل ما تلقى من صدمات الدهر حيث أفجعه في خلافه وأصدقائه وتركه وحيدا يعاني آلام الفراق وقد عاد إليه استقراره النفسي بفضل المواعظ والعبر المسداة إليه من الجبل الذي ألبسه ملة الواعظ الحكيم والمجرب الخبير وأكسبه القدرة على التأثير فلم يبقى للشاعر حينئذ، إلا أن يلقي التحية على الجبل مودعا إياه ليواصل سيره

[1] – أنيكست، تاريخ دراسة دراما، نظرية الدراما من هيجل إلى ماركس، ترجمة ضيف الله مراد، منشورات وزارة الثقافة، المعهد العالي للفنون المسرحية، دمشق، سوريا، 2000، ص 110.

في طريق الحياة بعد أن تقبل الواقع وأدرك في نهاية الأمر أن لا مفر من التسليم بحقيقة أن الأحياء منذرون للموت وأنهم بين " مقيم وذاهب" وهذه هي الحقيقة التي توصل إليها الشاعر بعد طول عناء وهي حقيقة أبدية وبديهية ما دامت سنة الحياة وقانونها الأزلي يقتضيان أن يسير الناس على هذا المنوال، منهم المرتحل حالا ومنهم المقيم إلى حين، دون أن يدري أحد منهم ساعة ارتحالة[1].

[1] - ابن خفاجة، ديوان، ص47-49.

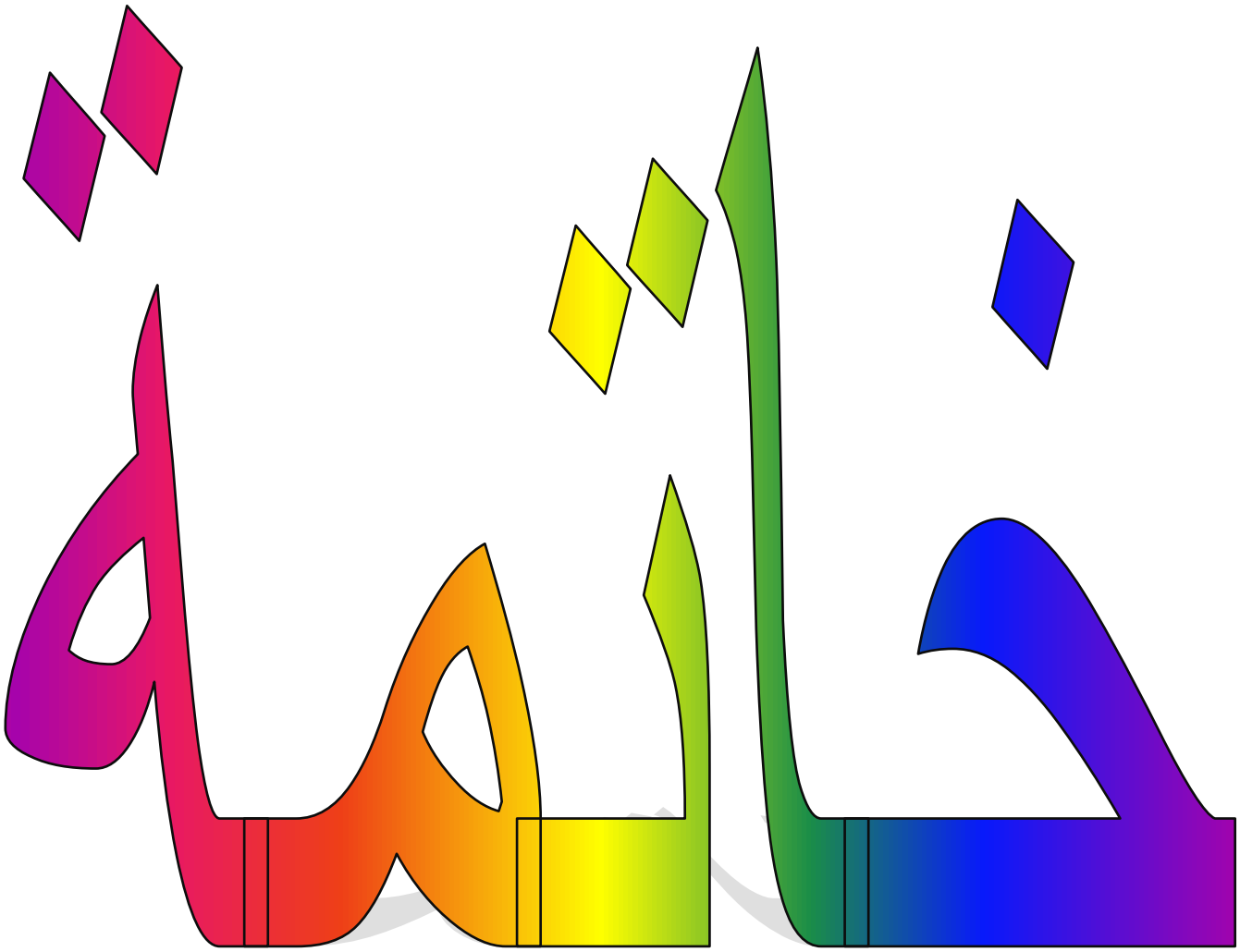
خاتمة

خاتمة:

وفي الأخير كانت خاتمتنا عبارة عن حوصلة لما تطرقنا له في هذا البحث، باعتبار الشعر الأندلسي هو ذلك الشعر المنبثق عن الحضارة الأندلسية، وقد تميزت معانيه بأنها واضحة جلية بعيدة عن التعمق، كما تتميز بالخلو المبالغة في طلب المعاني، وقد وجد الشعر الأندلسي في الأخير كثيرا من المعاني المبتكرة والأفكار المخترعة التي لم يكن للشعر العربي عهداً بها، فقد أحدث الأندلسيون ما هو جديد في الأوزان الشعرية، فقد عاشت الأندلس في ترف ما أحدث عندها اهتماما بشعر الطبيعة الذي يمثل تعلق الشعراء الأندلسيين ببيئتهم وتفضيلها على غيرها من البيئات، ولكون الشعر عندهم يصف طبيعة كما أبدعها الله في الحقول والرياض والأنهار والجبال والسماء والنجوم، ويصفونها كما صورها الفن لديهم في القصور والمساجد والبرك والأحواض وغيرها، فإن الشعر الطبيعة في الأندلس يعتبر صورة دقيقة لبيئة الأندلس ومرآة صادقة لطبيعتها وسحرها وجمالها فقد وصفوا طبيعة الأندلس الطبيعية والصناعية حتى أنها أصبحت بالنسبة لشعراء الأندلس ملاذاً وملجأ لهم كما أحدث شعر الطبيعة نهضة واسعة في الغناء، فشاع الغناء وشاعت الموسيقى فأحدث ذلك في شعر الموشحات والأزجال لأن أوزانها أجمل بالتلحين من الأوزان المعروفة، فقد ظهر الزجل هو أيضا لأول مرة في الأندلس في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).

وقد تفرع عن الموشح، ولا تختلف عن العربية الفصحى في شيء إلا في كونها غير معربة. أما أوزان الزجل فهي عربية أيضا، وإن لجأ الزجال الأندلسي في أحيان كثيرة إلى نظام النبر، لكن الأزجال التي نظمت على منوال هذا الوزن لم تحدّ عن الإيقاع العربي الذي أساسه التفعيلة.

وقد تطرق الزجل إلى الأغراض ذاتها التي اشتملت عليها الموشحات إلا أنه غلب عليه مواضيع التغزل بالمذكر واللهو المديح. كما طوّر الزجالون أغراضا واستحدثوا أخرى كالمدائح الدينية والزهريات وغيرها. وهكذا كانت عنايتهم بالألحان واختراع الأوزان المناسبة وهذه الألحان هي التي جعلت شعرهم كما يقول الرافعي كأنه نفوس تقطر أو تسيل.

وفي الختام، نرجوا أن نكون قد قدمنا للقارئ من خلال هذا البحث خدمة في الشعر الأندلسي، والله ولي التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر:

- القرآن الكريم

قائمة المراجع:

- **ابراهيم أمين الزرزموني**، الصور النفسية في شعر على الجارم، دار قباء، القاهرة، دون تاريخ.
- **ابن خفاجة**، ديوان، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ.
- **ابن منظور**، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، دون تاريخ.
- **إحسان عباس**، تاريخ الأدب الأندلس، عصر الطوائف والمرابطين، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ.
- **إحسان عباس**، ديوان الأعمى الطليلي، دون دار النشر، دون طبعة، بيروت، دون تاريخ.
- **أحمد بن مقري التلمساني**، نقح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، ط1، لبنان، دون تاريخ.
- **أحمد حسين المقري**، ديوان ابن سهل الأندلسي، المكتبة العربية الجماميز، ط1، مصر، 1344هـ/1926م.
- **أحمد هيكل**، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، ط7، القاهرة، 1979.

- **أرسطوا**، فن الشعر، ترجمة: شكري عياد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، دون طبعة،
- **أنيكست**، تاريخ دراسة الدراما، نظرية الدراما من هيجل إلى ماركس، ترجمة: ضيف الله مراد، منشورات وزارة الثقافة، المعهد العالي للفنون المسرحية، دمشق، سوريا، 2000.
- **بطرس البستاني**، أدباء العرب في الأندلس، توزيع دار الجيل، د.ط، بيروت، د.ت.
- **بن سناء الملك**، دار الطراز في عمل الموشحات، دار الفكر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ.
- **جودة الركابي**، الطبيعة في الشعر الأندلسي، مكتبة الأطلس، دون دار النشر، دون طبعة،
- **حنّ محمد نور الدين**، أستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية، ابن الخفاجة، شاعر شرق الأندلس.

  دمشق، 1970.
- **سالم عبد الرزاق سليمان**، ترسل الشعراء في الأندلس، كلية التربية، جامعة الإسكندرية، دار المعارف الجامعية.
- **سناء حميد البياني**، نحو منهج جديد في البلاغة والنقد، دراسة تطبيق، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ.
- **شكري عبد الوهاب**، النص المسرحي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، دون دار النشر، ط2، دون بلد، 2001.

- **شوقي ضيف**، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ.
- **صلاح الجرار**، قراءات في الشعر الأندلسي، دار المسيرة لنشر والتوزيع والطباعة، د.ط، د.ت.
- **صلاح فضل**، قراءة الصورة وصور القراءة، دار المشرق، ط1، القاهرة، 1997.
- **عبد العزيز عتيق**، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دون طبعة، دون تاريخ.
- **عمر دقاق**، ملامح الشعر الأندلسي، دار الشرق العربي، ط1، دون بلد، دون تاريخ.
- **فوزي سعيد عيسى**، في الأدب الأندلسي، دون دار النشر، دون بلد، دون طبعة، دون تاريخ.

القاهرة، 1967.

- **محمد عبد المنعم خفاجي**، الأدب الأندلسي-التطور والتجديد، دار الجيل، ط1، بيروت، لبنان، 1412هـ/1992م.
- **محمود فاخوري**، التجديد العروضي في الموشحات الأندلسية، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ.
- **مصطفى الشكعة**، الأدب الأندلسي-موضوعاته وفنونه، دون دار النشر، دون طبعة، دون بلد، دون تاريخ.

- **مصطفى الصادق الرافعي**، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، ، ط2، ج3، بيروت، 1974.
- **مصطفى عوض كريم**، الموشحات والأزجال، دار المعارف، دون طبعة، القاهرة، مصر، ، دون تاريخ.
- **منجد مصطفى بهجت**، ابن خفاجة الأندلسي والنقد الأدبي، قسم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا.

➢ **قائمة المجلات:**

- **الفسطاط**، المجلة التاريخية، العدد (45)، (8)، عقدت 2001.

➢ **قائمة المواقع الإلكترونية:**

- نقلا عن الموقع الإلكتروني:

http://www.almrsal.com

- نقلا عن الموقع الإلكتروني:

http://www.djelefa.info/Vb/#

الفهرس

فهرس المحتويات

بسمـــــــــــــــــــــلة

شكر وتقديـــــــــــــــر.

إهـــــــــــــــــــــــداء.

مـــــــــــقدمة:.....أ

المدخـــــــــــــل

المدخل: أغراض الشعر الأندلسي.....05

01- **الوصف**.....06

02- المدح.....07

03- الرثاء، الهجاء، الغزل..... 08

04- الموشحات.....09

05- **الشكوى والإستعطاف** 10

06- **الحماسة والفخر**.....12

07- **التصوف**.....13

08- **الحكم والزهد**.....14

09- **وصف المعارك**.....15

10- **الخمريات**.....16

الفصـــــــــــل الأول

الفصل الأول: مظاهر التجديد في الشعر الأندلسي.....20

المبحث الأول: التجديد في الشعر الأندلسي.....20

المطلب الأول: من حيث الشكل (الموشحات والأزجال).....20

المطلب الثاني: من حيث المضمون.....35
المطلب الثالث: من حيث الوظيفة.....37

الفصـــــــــــــــل الثاني

الفصل الثاني: وصف الطبيعة عند ابن خفاجة.....42
***المبحث الأول: شعر الطبيعة ودورها الفعال في موضوعات الشعر**.....42
المطلب الأول: شعر الطبيعة.....42
المطلب الثاني: ابن خفاجة حياته وفنونه الشعرية.....44
***المبحث الثاني: مصادر الصورة في الشعر عند ابن خفاجة**.....51
المطلب الأول: شعر الطبيعة عند ابن خفاجة.....51
المطلب الثاني : نموذج تحليل قصيدة لابن خفاجة في وصف الطبيعة.....55

خاتمة:.....66
قائمة المصادر والمراجع:.....69